بطريركية الأقباط الأرثوذكس بالاسكندرية

خدمة الدياكونية الريفية

رحلة الكنيسة فى الصوم الكبير

الصوم الأربعينى

يتناول هذا البحث ، رحلة الكنيسة فى الصوم الكبير ، إنجيلياً ، وكنسياً ، وعقيدياً ، وتاريخياً ، وليتورجياً ، وأبائياً

عبوراً بأحاد الصوم حسب ترتيب السنة الطقسية الليتورجية القبطية ، بلوغاً إلى خبرة حياة تُعاش وتُختبر ، وضعتها أمنا البيعة المقدسة .

وربنا يسوع المسيح الذى صام عنا ، قادر وحده ان يباركنا بكل بركة روحية ، بصلوات جزيل البركة والغبطة كلى الطوبى البابا شنودة الثالث .

حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا الأنبا شنودة الثالث بابا الإسكندرية الـ ١١٧

الفصل الأول

الصوم الأربعينى الكبير

الصوم الكبير كنسياً

للصوم الأربعينى الكبير مكانة خاصة فى كنيستنا ، فهو أقدس أيام السنة ، ونقول عنه إنه صوم سيدى ، لأن سيدنا يسوع المسيح قد صامه ، لذا فهو من الأصوام الهامة فى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.. وتدخل الكنيسة فيه فترة إعتكافها وتوبتها الليتورچية ، فهو ربيع السنة الروحية وزمن الإعتكاف والإلتقاء مع الله .

ورسمت كنيستنا هذا الصوم ووضعته فى برنامجها تشبهاً بربنا يسوع المسيح نفسه الذى صام عنا أربعين يوماً وأربعين ليلة لم ياكل شيئاً فيها.. لذلك إعتبرته فترة تخزين روحى للعام كله..

ولأهمية الصوم الكبير كان الآباء يتخذونه مجالاً للوعظ ، مثل القديس يوحنا ذهبى الفم بطريرك القسطنطينية ، والقديس أغسطينوس إبن الدموع أسقف هيبو واللذان إشتهرت عظاتهما فى زمن الصوم الكبير..

بل وكانت الكنيسة تجعل أيام الصوم الكبير فترة إعداد للمقبلين على العماد بالتعليم والوعظ ليتقبلوا نعمة المعمودية ، فكانت تُقام فصول للموعوظين خلال هذا الصوم تُلقى فيها عليهم عظات لتسليمهم قواعد الايمان وتثبيتهم ، وهكذا ينالون العماد فى يوم " أحد التناصير " ، لكى يُعيّدوا مع المؤمنين فى الأحد التالى أحد الشعانين ، ويشتركوا معهم فى صلوات البصخة وأفراح القيامة.. وقد إشتهرت عظات القديس كيرلس الأورشليمى لإعداد الموعوظين للإيمان خلال فترة الصوم ، ومن ثم اصبح الصوم الكبير من اهم الاصوام وأقدمها أيضاً..

والصوم الاربعينى المقدس عبارة عن ثلاثة أصوام ، الاربعون المقدسة فى الوسط يسبقها اسبوع تمهيدى ويعقبها اسبوع الالام.

أسبوع الاستعداد

الاربعون المقدسة ٥٥ يوماً

اسبوع الالام

ولاهتمام الكنيسة بهذا الصوم سمته الصوم الكبير ، واذا كان السيد المسيح قد صام عنا وهو فى غير حاجة اليه فكم بالحرى نحن ، وقد مهدت الكنيسة لهذا الصوم بصوم يونان ، لتُعد اولادها للصوم الكبير قبل ان يبدأ بأسبوعين ، ولتجعله ربيعاً للنفس والكنيسة ، حيث تتجدد الطبيعة البشرية لتزهر فى يوم الازهار العظيم يوم عيد القيامة المجيد الذى هو عيد الاعياد...

ولان الصوم الكبير اكبر الاصوام الكنسية واقدسها لذا رتبت له كنيستنا طقساً خاصاً ، فله الحان خاصة ومردات خاصة ، وله قراءات وقطمارس خاص [قطمارس الصوم الكبير] ، وله ترتيبه وطقسه الخاص [الطقس الصيامى] ، فى رفع بخور باكر ومطانيات وسجدات وميامر وطلبات ونبوات وقراءات من العهد القديم ، وهكذا جعلت الكنيسة للصوم الكبير جواً روحياً خاصاً ، وهو ما سنتأمل فيه عندما ندخل الى رحلة الصوم الكبير فى المنهج الليتورچى التعبدى.

ولما كان هذا الصوم اقتداء بالمسيح لذا رتبته الكنيسة ، لتدعونا فيه الى تبعية المسيح ، وبهذا تكون قد ادخلت حياته فى جسدها لتكون أفعال حياة رب المجد يسوع هى حياة اعضائها ، تقتدى به فى منهجها الحياتى ، وبهذا تصبح حارسة على سر اللاهوت النسكى الذى اسسه الرب بصومه الاربعين المقدسة ، ومن هنا اتت عظمة هذا الصوم فى انه يأتى تشبها بصوم السيد المسيح الذى جعلته الكنيسة سراً تسلمه لاولادها العابدين..

وقصدت الكنيسة من وضع هذا الصوم ان يكون موسم توبة جماعية ، لان كنيستنا جموعية ، وتدبير هذا الصوم انما هو تأكيد لمضمون الشركة فى جسد المسيح ، لتصير توبتنا الجماعية هدف وقصد هذا الصوم من اجل النمو الجماعى

والحب الجماعى والحرارة الجماعية والكرازة الجماعية والصلاة الجماعية كما من قلب واحد ، فى الكنيسة مدينة الرب مسكن القديسين ومجمع الابرار.

لان كنيستنا ليست كنيسة أفراد ، ولكنها كنيسة اعضاء ، فهى لا تعرف الفردية ولكنها كنيسة جموعية وكنيسة شركة ، [شركة مع الثالوث القدوس ، شركة مع القديسين ، وشركة مع جماعة المؤمنين اعضاء الجسد الواحد] ، نتقدم فيها لناكل جسد الحمل الذى بلا عيب ، الذى ينزع خطايا العالم ، نأكله فى بيت واحد ، أى فى الكنيسة الجامعة المرشوشة بالحب والحاملة سلاح الفضيلة.

الصوم الكبير تاريخياً

ان الصوم الاربعينى تقليد رسولى وهو تعليم كنيسة الاسكندرية منذ زمن بعيد فالقديس كيرلس الاول عمود الدين يقول فى عظاته بخصوص الصوم الكبير إنه "حسب التقليد الرسولى" ، ومن قبله البطريرك ثيوفيلس يقرر ذلك ايضاً فى خطاباته الفصيحة ، كما تحدث القديس ايريناوس "ابو التقليد الكنسى" عن اهمية الصوم الاربعينى الكبير ، واكد انه قديم العهد جداً ، وان طقسه يراعى فى انحاء العالم كله ، ويرجع الى ايام الرسل. (1)

فالصوم هو اقدم وصية عرفتها البشرية منذ آدم الاول { تك ٢:١٦ – ١٧ } ، وقد اثبت ذلك ايضاً القديس يوسابيوس القيصرى فى تاريخه { ٥:٢٤ } وقرر المؤرخ سقراط سوزمين فى تاريخه الكنسى { ٧:١٩ } ان كنيسة مصر القبطية تصوم هذا الصوم سبعة اسابيع كاملةً ، ويقول القديس يوحنا كاسيان ان الصوم الكبير يقدم فيه الاقباط عشور السنة صوماً.

وفى قوانين ابوليدس الرومانى والمعروفة باسم التقليد الرسولى لهيبوليتس Hippolytus صيغة اخبارية تقول فى وضوح وقوة "ايام الصوم الكبير التى تثبت هى الأربعاء والجمعة والاربعون والذى يزيد عليها ينال اجراً".

1) Irn. Epist. Ad. Vict.

والتى الدسقولية فتقرر "فليكن عندكم جليلاً صوم الاربعين المقدسة" ، وتؤكد فى الباب العاشر "وان تصوموا فى كل عام اربعين يوماً كما صام موسى وايليا النبيان العظيمان ، وجميع الانبياء فى العتيقة ، وابتدأ سيدنا المسيح بذلك ليعلمنا ان نفعل ذلك قبل آلامه المحيية".

وقد جاء فى كتاب مصباح الظلمة "للاب القس ابو البركات المعروف بابن كبر" عن الصوم الكبير :-
"وقد كان الآباء الرسل القديسون الاطهار ومن تبعهم من المؤمنين يصومون الاربعين المقدسة".

ويذكر العلامة اوريجين فيقرر قائلاً "الاصوام التى نلتزم بها هى الاربعون المقدسة والاربعاء والجمعة" ، كما وذكره روفنيوس المؤرخ ناسباً ذكره الى العلامة اوريجين فى تفسيره لسفر اللاويين.

وقد وضعت الدسقولية عقوبة على من لا يصوم هذا الصوم "أى أسقف او قس او شماس او ايبذياكون او اغنسطس او مرتل لا يصوم صوم الاربعين المقدسة وصوم يومى الأربعاء والجمعة فليقطع ما خلا إذا إمتنع لأجل مرض جسدى وإذا كان عامياً فليفرز".

وبعض الآباء القديسين القدامى عندما كانوا يتأملون فى الأربعين المقدسة ، كانوا يقارنونها بعدد الساعات التى قضاها الرب فى القبر وهى أربعون ساعة محسوبة ، أى إننا نصوم عن كل ساعة قضاها الرب فى القبر يوماً كاملاً..

فالصوم الأربعيني كان منذ العصر الرسولى، موجوداً منذ القرن الأول المسيحى ومارسته الكنيسة فى كل أنحاء العالم وصامه المسيحيون. (1)

1) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 2, p. 972.

وقد ورد عن الأربعين المقدسة فى الرسائل الفصحية لباباوات الاسكندرية ، فنجد أن البابا أثناسيوس الرسولى حامى الإيمان البطريرك العشرين يقرر قاعدة الصوم الكبير فى الرسالة الفصحية الثانية وفى الرسالة الثالثة والسادسة والسابعة.[1]

ونجد أن طقس تكريس الميرون المقدس ، كان يتم فى الأربعين يوماً ، وهو ما قام به أيضاً قداسة البابا شنودة الثالث أطال الله حياته ، فقد قام غبطته بعمل الميرون مرتين فى عهده المبارك – فى زمن الأربعين المقدسة.

ويتكلم أيضاً البابا كيرلس الكبير عمود الدين فى رسائله الفصحية عن الأربعين المقدسة ، وهنا تتقرر من رسائل القديس أثناسيوس والقديس كيرلس ، وطقس الميرون ، قاعدة الصوم الكبير.

كما أشار إليه القانون الخامس من قوانين مجمع نيقية ، كشيء ثابت ومقرر فى الكنيسة المسيحية فى العالم كله ، وذكرته قوانين الرسل ، وقالت إنه تم إتباعاً لما فعله السيد المسيح.[2]

لقد كان الصوم الأربعينى من الممارسات الروحية التى مارستها كنيسة الرسل عمود الحق وقاعدته ، هيا مع الكنيسة التى هى باب السماء فلك نوح الجديد بل والحقيقى لنخلص لأن كل من كان خارجها هلك {١ بط ٣ : ٢٠} ، ولنتمتع بإختبار الصوم الكبير المقدس من أجل بنيان حياتنا وشبعها الحقيقى ، فنجتاز الصوم مع المسيح الذى صامه عنا {مت ٤ : ٢} ، وكما صام داود النبى {مز ٣٥ : ١٣} ، ودانيال النبى {دا ٩ : ٣} ، وحزقيال النبى {حز ٤ : ٩} ، ونحميا النبى {نح ١ : ٣} ، وعزرا الكاتب والكاهن {عز ٨ : ٢١}.. فنكون غالبين للعالم والشيطان لأن (هذا الجنس لا يخرج إلا بالصوم والصلاة).

1) N.P.N.F. 2nd Series Athanasius Vol. IV, p. 502.
2) Ency. of Religion and Ethics, Vol. 5, p. 766.

هبت على الكنيسة رياح تعاليم غريبة ولكن المسيح الذى إقتنى كنيسته بالدم الكريم قال للريح (إسكُت إبكم . فسكت الريح وصار هدوء عظيم) {مر ٤ : ٣٩} ، ومازال المبتدعون والهراطقة والطوائف التى إرتدت عن الإيمان المُسلّم لنا مرة بالإنجيل {مت ٢٤:١١ & تسا ٢ : ٣}.. ينكرون الصوم غير محتملين التعليم الصحيح ، بل حسب شهواتهم الخاصة يجمعون لهم معلمين مستخكمة مسامعهم مقاومين الحق الإلهى الكتابى ، يجب علينا أن نصحو لهم ونعرض عنهم لأنهم إخوة كذبة يندسون بيننا لخداعنا {غلا ٢ : ٤} مستمسكين بالتعاليم التى تعلمناها {٢ تسا ٢ : ٢ & ٢ تيمو ٤ : ٣}..

ولكى نحفظ وديعة الإيمان التى تسلمناها ، من أجل خلاص أنفسنا وخلاص الذين نخدمهم وخصوصاً فى المناطق الشعبية التى نخدمها والتى تنتشر فيها هذه الأفكار المسمومة ، لابد لنا أن نرجع إلى الكلمة "كيريجما" الكتاب المقدس لأن كنيستنا كنيسة إنجيلية ، وجميع عقائدها تستمد أصالتها ونقاوتها من الإنجيل ، إنجيل خلاصنا الذى به نقاوم ونغلب المعاندين {اف ١ : ١٣}.

● عقيدة الصوم عقيدة إنجيلية

الجنس الشرير من الشياطين لا يخرج إلا بالصوم والصلاة {مت ٢١:١٧}.

صوم الاربعين صوم كنسى رئيسى رسمه وصامه السيد المسيح {مت ٢:٤}.

ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائيين فإنهم يغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين {مت ١٦:٦}.

الاصل فى الصوم هو الإنقطاع وذلك فى معجزة إشباع الأربعة آلاف {مت ٣٢:١٥}.

لكن ستأتى ساعة أيام يُرفع العريس عنهم حينئذٍ يصومون {مت ٩ : ١٦}.

الصوم سيرة ملائكية {مر ١ : ٢}.

وإن صرفتهم الى بيوتهم صائمين يخورون فى الطريق {مر ٨ : ٣}.

الصوم موضوع من قِبَل رب المجد يسوع {مر ٢ : ٢٠}.

الصوم فى الكنيسة الأولى {أع ١٣ : ٣}.

الصوم والبركات الروحية {أع ٩ : ٩}.

وفى الصوم نظهر كخدام لله {١ كو ٦ : ٥}.

ويتذرع البعض فى إنكارهم للصوم بقول بولس الرسول :- (إنه فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان... آمرين أن يمتنع عن أطعمة خلقها الله).

وفى الواقع هذا لا يشير إطلاقاً إلى بطلان الصوم بل يشير إلى بدع نادى بها بعض الهراطقة تدّعى نجاسة بعض الأطعمة وتحريم الزواج.. مانعين عن بعض الأطعمة ، الا أنها ليست محرمة أو نجسة ، بل القصد من الإمتناع عنها قمع الجسد وإذلاله وترويضه وإخضاعه للروح والسيطرة عليه بالإمساك عن بعض الأطعمة{١ كو ٩ : ٢٧}.

- اصوام جماعية

ونجد أن الشعب صام كله فى أيام الملكة إستير {إس ٤ : ٣} ، وصام الشعب بنداء عزرا الكاهن {عز ٨ : ٢١} ، وكذلك فى أيام نحميا {نح ٩ : ١} ، وصام الشعب أيام يهوشافاط {٢ أى ٢٠ : ٣} ، وصام الشعب أيام يهوياقيم بن يوشيا {أر ٣٦ : ٩}. وكذا أيام يوئيل النبى {٢ : ٥} ، وأيام يونان النبى {يون ٣}.

- الأنبياء والرسل صاموا (الصوم فى العهدين)

صام موسى النبى {خر ٤٠ : ٢٨} ، وإيليا النبى {١ مل ١٩ : ٨} ، وداود النبى {مز ٣٥ : ١٣ & مز ٦٩ : ١٠ & مز ١٠٩ : ٢٤ & ٢ صم ١٢ : ١٦}.

وصام دانيال النبى{دا ٩ : ٣} ، وصام حزقيال النبى أيضاً {حز ٤ : ٩}.

وصام نحميا النبى{نح ١ : ٣} ، وكذا عزرا الكاتب والكاهن {عز ٨ : ٢١}.

وعن صوم بطرس الرسول {أع ١٠ : ٩}.

الصوم فعل روحانى وجهاد ممدوح {١ كو ٩ : ٢٧}.

صوم بولس الرسول {٢ كو ١١ : ٢٧}.

وأوصى الرب الإله أدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً ، و أما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها {تك ٢ : ١٦}.

وكان "موسى" هناك عند الرب أربعين نهارا وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء {خر ٣٤ : ٢٨}.

وأخذوا عظامهم ودفنوها تحت الأثلة فى يابيش وصاموا سبعة أيام {١ صم ٣١ : ١٣}.

فسأل داود الله من أجل الصبى وصام داود صوماً وبات مضطجعاً على الارض {٢ صم ١٢ : ١٦}.

نادوا بصوم وإجلسوا نابوت فى رأس الشعب {١ مل ٢١ : ٩}.

ونوديت هناك بصوم على نهر أهوا لكى نتذلل أمام إلهنا لنطلب منه طريقا مستقيمة {عز ٨ : ٢١}.

إجتمع بنو إسرائيل بالصوم وعليهم مسوح وتراب {نح ٩ : ١}.

كانت مناحة عظيمة عند اليهود وصوم وبكاء ونحيب {أس ٤ : ٣}.

أذللت بالصوم نفسى{مز ٣٥ : ١٣}.

وأبكيت بصوم نفسى فصار ذلك عارا على {مز ٦٩ : ١٠}.

ركبتاى إرتعشتا من الصوم ولحمى هزل عن سمن {مز ١٠٩ :٢٤}.

أليس هذا صوما إختاره حل قيود الشر {أش ٥٨ : ٣ – ٧}.

فى بيت الرب فى يوم الصوم {أر ٣٦ : ٦}.

فوجهت وجهى إلى الله السيد طالباً بالصلوة والتضرعات والمسح والرماد {دا ٩ : ٣}.

هكذا قال رب الجنود أن صوم الشهر الرابع والخامس والسابع والعاشر يكون لبيت يهوذا إبتهاجاً وفرحاً وأعياداً طيبة فأحبوا الحق والسلام {زك ٨ : ١٨}.

وحنة النبية {لو ٢ : ٣٧} ، وبطرس الرسول {٢ كو ١١ : ٢٧ & ٢ كو ٦ : ٥ & أع ١٤ : ٢٣} ، وكرنيليوس {أع ١٠ : ٣٠} كلهم صاموا.

ورب المجد يسوع نفسه صام عنا أربعين يوماً بسر لا ينطق به وأوصى بالصوم (حينما يرفع عنهم العريس حينئذٍ يصومون) {مت ٩ : ١٠}.

الفصل الثانى

روحانية الصوم الكبير

• برنامج الكنيسة فى الصوم الكبير

للكنيسة فى الصوم الأربعينى برنامج روحى قوى ليكون فترة نهضة روحية ، ومصدر توبة جماعية وشركة عميقة مع رب المجد يسوع فى صومه ، فالمسيح صام عنا ومعنا ، وهو شريك مع كل نفس صائمة فى هذا الصوم ، يعبر بها من حالة إلى حالة أخرى.

وفى هذا الصوم تمارس الكنيسة فترات الإنقطاع ، والقداسات اليومية وحياة التوبة والتذلل الجماعى لأنها كنيسة جموعية ، ومن ثم جعلت لهذا الصوم برنامجاً كرازياً جماعياً لتعليم الموعوظين الداخلين فى الإيمان حديثاً.

لذلك ينبغى أن يكون هذا الصوم الذى رتبته كنيستنا ضمن إطار القصد الإلهى فى حياتنا ، لكى تظهر حياة المسيح فينا ونكون شركاء الطبيعة الإلهية ، وهذا هو قصد الصوم الذى نعيشه فى هذه الأيام المقدسة ، لكى نسعى فندرك الذى لأجل أدركنا المسيح .. فهو صام بذاته ، صام عنا ليُعَرّفنا أنه سيكون شريكاً لنا فى الطريق ، وكل من يصوم صوماً روحانياً يسير فى معية الملك المسيح.

وتظهر سمات وخصائص الروحانية الارثوذكسية فى منهج الكنيسة الروحى خلال فترة الاربعين المقدسة ، فتقودنا إلى الطريق الواحد الذى بإمكانه أن يقود الأرثوذكسى القبطى الى باب الحياة الضيق واستقامة التعليم واستقامة الحياة ايضاً اى الى الارثوذكسية ، فقد جعلت الكنيسة من الصوم لا فترة قهر وحرمان ولكن فترة بهجة وفرح يسميها الآباء فترة الحزن المضيئ.. نتخطى فيه الامساك السلبى عن المأكل ونتحول الى الإنفتاح الإيجابى فى طريق الشبع الروحى المفرح .

والصوم الاربعينى هو مدرسة التوبة التى تُدربنا فيها الكنيسة بالصلاة وسماع كلام الحياة لكى نتوب ونختبر من جديد القيامة من موت الخطية ونوال الحياة الابدية فى داخلنا ، لقد كان الغرض الرئيسى من الصوم الكبير فى عصور الكنيسة الاولى هو تعليم الموعوظين – اى المؤمنين الجدد بالمسيح – وتهيئتهم لنوال سر المعمودية التى كانت تتم فى عيد القيامة ، ولقد بقى المعنى الاساسى للصوم الكبير ، ورغم اننا معمدون إلا اننا فى اغلب الاحايين نفقد قوة الحياة الجديدة التى كنا قد نلناها فى المعمودية ، ولذلك فان فترة الصوم هى فرصة رجوعنا من جديد الى هذه الحياة الإلهية التى وهبها لنا المسيح بمجيئه الى العالم ، والتى نلناها منه فى معموديتنا ثم فقدناها فى وسط إهتماماتنا وإنشغالنا ونسياننا فى وسط هذا العالم .

وصوم الكنيسة هذا صوم نارى تلهبنا فيه بحرارة العشق الإلهى وبتعبير جميل يصور القديس اغسطينوس للمعتمدين الجدد كيف صاروا خبزاً واحد فيقول :-

"إن صوم الاربعين المقدسة والصلوات ورغبة الإنضمام الى الكنيسة قد طحنوكم معاً كحبوب الحنطة تحت الرحى ، ثم بلل ماء المعمودية جبلتكم هذه فعُجنتم معاً وشُكلتم خبزاً ، ولكن ليس من خبز بدون نار ، لقد جاءت النار مع مسحة التكريس التى هى سر التثبيت بالروح القدس ، الذى يلهمنا المحبة ويجعلنا نحترق من أجل الله ونحتقر العالم ، فالنار تأتى بعد الماء ، وأنتم قد صرتم خبزاً الذى هو جسد المسيح".

الصوم الكبير رحلة روحية ونهاية هذه الرحلة هو الفصح المسيحى او عيد القيامة "عيد الاعياد" ، فالصوم اعداد للفصح "البصخة" ، او اعداد لرؤية القيامة ، وبالصوم نستعيد رؤية الحياة الجديدة التى فى المسيح يسوع ، لنتوب ونرجع فنذوق حياة الملكوت الجديدة والشركة ، لئلا تصير حياتنا بلا معنى مظلمة وتافهة ومضيعة ، وتقدم لنا الكنيسة فعل الصوم مدرسة للتوبة ومعونة لنتمكن به من ان نستقبل عيد القيامة وافراحها كنهاية للقديم ودخول للجديد القائم .

لقد كان الغرض الرئيسى من الصوم فى العصور الاولى للكنيسة ، هو اعداد الموعوظين الداخلين الى الإيمان بالمسيح وتهيئتهم للمعمودية التى كانت تتم فى عيد

القيامة ، فرغم اننا نخون ونضعف ونفتر ونفقد ماقبلناه فى المعمودية ، إلا ان عيد القيامة هو رجوعنا كل سنة الى معموديتنا وهنا يكون الصوم فترة اعدادنا لهذا الرجوع ، لكى بالتوبة والصلاة والرحمة والفضيلة مع الصوم نأتى فى النهاية الى "العبور" ، عبورنا نحن الى الحياة الجديدة فى المسيح لكى نذوق فرح قيامته ونراها..

إنها رحلة الحزن المضئ لنتطلع الى فرح القيامة والدخول فى مجد الملكوت وهذا هو التذوق المسبق لفرح القيامة الذى يجعل حزن الصوم لامعاً ومضيئاً ويجعل الجهد المبذول فى فترة الصوم ربيعاً روحياً.

ومن ثم نجد ان الصوم فى الكنيسة فترة استنارة واعداد للتوبة والمصالحة والتطهير بواسطة الاعتراف والتناول ومسحة المرضى "القنديل" لتكون فترة الصوم فترة مصالحة مع الله ، ومسامحة مع الناس وتجديد للحياة كلها.. وكل هذه التداريب والممارسات تعطى الصوم الاربعينى الصفة العملية ، فى الإقتداء بالمسيح الذى صام عنا ولأجلنا ، فنغلب الشيطان فى تجارب الجسد كما غلب المسيح لحسابنا ، فهل نحن معه الآن فى البرية على جبل التجربة ؟ هل نحن هناك ؟ ان اساس الصوم هو اختبارنا للفداء ، وهدف الصوم الحقيقى ألفتنا وشركتنا مع الثالوث القدوس ، ان نكون مع المسيح ليُصبح حياً نلمسه نختبره ونتحقق حضوره فى داخلنا ، وكيف يكون صومنا واعترافنا بدون ذلك ؟ لنسأل اين يقيم المخلص لنقيم معه ، وبالصوم نلتهب شوقاً وحنيناً وعشقاً له لأنه الحياة بذاتها ، وكل من يعرف خزيه يعرف كيف يطلب النعمة..

وكل صوم يقف عند المظاهر الخارجية صوم جسدانى بلا ثمر ، لأن مخلصنا الصالح يريد الصوم الداخلى الجوانى ، وملكوت الله هو داخلنا ، وان كان الصوم قد ارتبط عند اليهود بالتوبة ويُسمى يوم الصيوم يوم الغفران ، فكيف يكون فى العهد الجديد ؟ ذلك الصوم الذى تضعه الكنيسة كدرب نسير فيه رحلتنا الروحية لنصل الى افراح القيامة ، نعيشها ونختبرها ونتمتع بجدة الحياة المقامة فى شخص ربنا يسوع ، لانه يوجد دفاع لخلاصنا مادام يوجد المسيح ربنا ، وما عدة اسلحتنا إلا المسيح يسوع.

● الصوم والتوبة "ميطانيا"

وبداية رحلتنا الروحية فى الصوم الكبير تبدأ بالمصالحة والتوبة المستمرة والمحبة التى هى اساس البنيان مع التواضع ، وتصفية الشهوات ومحبة العالم . وحمل الصليب مع التشديد على ترويض الجسد ، الى جانب ترويض الروح لان الكنيسة الأرثوذكسية تتطلع وتهتم بالانسان بكليته ، جسداً وروحاً..

والصوم الكبير زمان التوبة والمصالحة مع الله والندم والتربية الروحية والاستنارة ، نسمع فيه بصورة خاصة صوت الله لننصت اليه ، ونتذكر فيه بنى إسرائيل فى البرية أثناء الأربعين ، ونفكر فى الحرية والسياحة والمن الإلهى ، ونتذكر فيه الأربعين التى قضاها رب المجد مجرباً فى البرية فيكون صومنا مجاهدة وجهاداً حتى الدم ضد الخطية ، وبالجملة يكون الصوم تجمعاً غنياً ودسماً وعميقاً للغاية يشتمل على وسائل فعالة من أجل تقديسنا وتطهيرنا وإستنارتنا ، لتصل بنا الكنيسة الى القيامة "عيد الأعياد" وكلما كان صومنا صوماً روحانياً جدياً كلما تمتعنا ودخلنا فى سر الفصح وتلنا ثمار وبركات القيامة..

والصوم فى معناه الروحى ، تقدمة حب من نفس إختبرت محبة المسيح وغنى نعمته الفائق ، لذلك تريد ان تقدم كل شىء بإسم الابن الى الآب ، كل شىء ، القلب والنفس والعقل والجسد والروح ، إنها تحس بأنها مديونة بالكل ، فلا يكون الصوم فريضة ثقيلة جافة مفروضة ، لكنه حب وحرية ونعمة غزيرة الضياء ، زهد إختيارى وإنتعاش للروح وترك للشهوة وإحتياج لازم ، وهو ليس حرماناً ولا إذلالاً ولا كبتاً ولا فرضاً..

وفى صوم الرب عنا درس يعلمنا ادوية خلاصنا ، لكى يكون لنا هو مثالاً ، إن آدم طرد من الفردوس بسبب عدم ضبطه لنفسه ، والمسيح صام لا لأجل حاجته بل ليرسم لنا طريق الخلاص ، اراد ان يعيننا لكى ننتصر فى تجاربنا بقدوته ،

الذى غلب العالم كله لا بقوة عسكرية بل بجهالة الصليب.

الصوم والجهاد الروحى

ليس هناك غاية للصوم غير التخلص من الخطية ، والجهاد ضد أهواء الجسد ، لأن الإتحاد بالمسيح هو صميم الغاية التى من أجلها نجاهد ليس إذلالاً بل قبولاً للحياة الجديدة من خلال عمل النعمة ، والصوم ليس فضيلة فى حد ذاته ما لم يقترن بالصلاة ، فتركيزنا كله على الحياة الداخلية وإنساننا الباطنى وعلاقتنا الكيانية الصميمة الإتحادية برب المجد يسوع.

إن إمتناعنا عن الأكل يجعلنا نرتفع فوق مستوى الجسد والمادة ، وما الصوم إلا سلاح غلبة ، لأن آدم الأول إنهزم بالطعام ، وادم الثانى غلب بالصوم ، اذ ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله "كيريجما" ، وبالصوم يتدخل الله ؛ فقد اختبر هذا الامر نحميا وعزرا ودانيال واختبرته استير من اجل الشعب كله ، وعاشته الكنيسة فى القرن الرابع فى عمق مشكلة أريوس الهرطوقى ، واصبح الصوم عقيدة راسخة فى ضمير الكنيسة ، لانه فترة مصالحة يتدخل فيها الله ويتحنن ، والصوم ايضاً مدرسة روحية تدربنا فيها امنا البيعة على الاستشهاد والشهادة "مارتيريا".. وفعل الصوم هو اولاً واخيراً دليل على محبتنا لله وبه نتقرب اليه ، فلا صوم من غير التوبة واعمال الرحمة والصدقة ، ولا صوم من غير الإعتكاف والصلاة والقراءات الروحية والتأمل والمطانيات وقرع الصدر والسهر وتكريس القلب والفكر والإرادة لله ، ولا صوم من غير شركة مع المسيح الذى صام عنا ، فالصوم بحق فترة تخزين روحى للعام كله..

والصوم هو بداءة طريق الله ، وهو الصديق الملازم للفضائل كلها ، يحفظ العفة ، ويحفز للصلاة ، ويساعد على الهدوء والسكوت ، ويشوق العقل لعشرة الله ، يجعلنا نتشبه بسيرة الملائكة ، نمتنع فيه عن الشهوة والأفكار الرديئة لانه أيقونة للحياة العتيدة ، والصوم يُخضع الجسد للروح ويجعلنا ننال نصيباً من جسد القيامة بقيادته إيانا نحو الله ، وهو ايضاً طبيعة الحياة فى الفردوس قبل السقوط

فالانسان اطاع بطنه فطرد من الفردوس وربنا يسوع كشف لنا الدواء لكى نغلب.. ذلك المدافع عنا ، قرن خلاصنا الاكيد الذى يحتضن وجودنا ويحصنّا على الدوام.

وليس كل صوم صوماً مقبولاً ، لانه ينبغى ألا نفعل شراً ، وان نعبد الرب بقلب طاهر ونحفظ الوصايا بالانقطاع عن كل الشرور سواء بالفعل او بالقول او بالفكر وضبط اللسان والكف عن الغضب ، وغياب الرذائل ، لأن الصوم ليس صوماً جسدياً بل صوماً روحياً ، يُغذى النفس ويهيئها لتجنح وتسمو فوق العالم فتعبر بحر هذه الحياة الحاضرة وتصل الى نقاوة القلب ، وايضاً الصوم يصعد بالصلاة الى السماء ، وبدون العطاء والصدقة لا يُحسب صوماً ، وليس هناك سلاح اقوى من الصوم ، فإن كنا قد انغلبنا فى آدم بالأكل فبالإمساك عنه قد غلبنا فى المسيح فالأول علة السقوط والثانى موضوع النصرة لأن منه وبه وله كل الأشياء.

والصوم فى المفهوم الإنجيلى هو نظرة على الحياة الأبدية من خلال إحساسنا بالموت (جوع - عطش - إماتة) فهو تذوق لمجد القيامة بجسد مائت عن كل شهوات العالم الحاضر.. وجوعنا وعطشنا يجعل عيوننا شاخصة نحو الأبدية فى إنتظار البر الابدى ، لأننا حتماً سنشبع سراً من دسم الخيرات الغير منظورة التى للحياة الابدية... ونحن نصوم لأن العريس قد رُفع لذلك وجب علي العروس ان تصوم ، ويعلق القديس كيرلس الأول عمود الدين فيقول "لقد كان مجيء مخلصنا الى العالم بمثابة عيد عظيم إتحد فيه روحياً بطبيعة الانسان كمثل عروس له".

فالاتحاد السرى الذى حدث بيننا وبين المسيح مخلصنا بتجسده ، جعل صومنا يسمو الى مستوى الجوع والعطش اليه ، وصارت نفوسنا عطشى اليه مثل ارضٌ بلا ماء.. لذلك عندما رُفع العريس عنا كان من الحتمى ان نصوم ، فالذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات ، وبهذا يصبح قبولنا الصوم على اساس الشركة فى صليب المسيح.

ولابد ان يكون صومنا صوماً روحياً ، لان المسيح صام من اجلنا وصام عنا ، وكان يقتاد بالروح فى البرية أربعين يوماً ، فلنصم صوماً روحانياً لان مخلصنا

قدم نفسه أمامنا نموذج ، لان الصوم ليس هدف في ذاته إنما هو مجال للحب المباركة التى فيها نغلب كما غلب ذاك الذى أحبنا وسلم ذاته لاجلنا ، فنسير في أثر خطوات الرب نختط نفس الدرب ، ونتحدى الكذاب المحتال ابليس الذى خدعنا بالاعتماد على الطعام ولقمة العيش ، ويتحول فينا الجوع لا الى شيء سلبى بل الى كلمة الله ، جوع لاجل الله ، لذلك حرصت الكنيسة على ان تجعل صوم ابنائها مقترناً بالتناول حتى تتقدس ذبيحة صومنا فيكون المسيح هو خبزنا وماءنا وغلبتنا وحياتنا الحقيقية ، ولكى يكون صومنا روحياً يجب أن يكون بجدية واخلاص قلب ، لا مجرد شكليات بل حياة ايجابية ، لا اكتفاء بما هو خارجى دون التعمق فى الداخل.. واعمق تغير يحدثه الصوم هو ان يغير اتجاه الشخص واتجاه الجماعة ليصبح الكلمة المتجسد هو مصدر حياتهم.

والصوم في المسيحية ليس قهراً ولا كبتاً ولا قصاصاً ولا حزناً مريراً إنما هو إستنارة وحزن مضيء وتذوق لغلبة العالم ومجد القيامة ، لذلك لا نكون عابسين بل ممتلئين ببهجة الخلاص وفرح الروح.

والصوم أسلوب حياة وسعى نحو الحياة الجوانية المتخلصة من كل تشتت ، ليتسع أمامنا مجال التأمل والدخول للعمق والسيطرة على كل ما لا يرضى الله ، مع فعل الصلاة والاتضاع والتوبة والمحبة والطهارة والنشاط وعمل الرحمة والعطاء لنتعلم فيه كيف نتواضع ؟ كيف نتسامح ؟ كيف نرحم ؟ كيف ندخل الى أعماقنا ؟ ونقف على حقيقة أنفسنا فنستعيد حياتنا الجديدة..

* الصوم ومعالم الطريق للملكوت

وروحانية الصوم والنسك الجسدى فى صوره المتعددة ، هى احد الركائز الضرورية اللازمة لتبعية المسيح ، وبالصوم نقدم اجسادنا ذبيحة مقدسة مرضية عند الله (رو ١٢:١) ، وبه نبلغ مجد التجلى المعد للابرار ، فيمتلئ كياننا بالروح القدس ، والجسد الحيوانى الذى يُزرع فى الارض ، يُبذل ويُنفق ويُهلك فى شكله الخارجى لكى يقوم كياناً روحانياً ، وصومنا هذا يضرم فينا الموهبة الإلهية لت

بشر أكثر فيجعلنا نحيا ونشهد بكل كياننا جسداً وروحاً عن سر الموت والقيامة الذى يعمل فينا ، ونخلع عنا جزئياً طبيعتنا الحيوانية ، فنأخذ عربون الثياب النيرة التى اعدت لنا ، وكل صور التعفف والنسك والاصوام تجعل لباس ارواحنا التى هى اعضاء جسدنا تنال قوة الطهارة والضياء السماوى كمثال للقيامة من الاموات .

وقد كتب العظيم الانبا انطونيوس مشيراً ان النسك والصوم يؤهل كل الجسد للتغيير ويخضعه لسلطان الروح القدس ، ويجعله ينال نصيباً من الجسد الروحى المزمع ان يكون عليه فى قيامة الابرار. (1)

وتبعاً للتقليد الإنجيلى نجد ان أساس النسك هو الصوم (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان) (مت ٤:٤) ، فنشهد فى صومنا على غلبة العالم وان الروح القدس الذى فينا قد روض الجسد وبدل طبيعته الحيوانية البهيمية الى طبيعة ملائكية سمائية نورانية فعالة ، والصوم ايضاً يروض أجسادنا ويحول شهيتنا من الاطعمة الجسدية الى جوع حقيقى للشبع الإلهى والصوم فعل ارادى نشارك فيه بمحض إرادتنا وحريتنا فى هذا التحول الروحى الذى لن يكتمل إلا فى المجئ الثانى "باروسيا". أنه لقاء الشبع الروحى ، لقاء رفضنا للأطعمة الأرضية لكى نؤهل الى شركة الثالوث القدوس المحيى ، فنكون مدعوين خلال فترة الصوم الى الجهاد الروحى القانونى بالتوبة "الميطانيا" ، وأيضاً نكون مدعوين الى الشبع بكلمة الله "كريجما" التى لنا فيها حياة ابدية بإعتبار انها رسالة الله لخليقته وانها أيقونة الله ، ويربط الآباء بين الصوم والصلاة برباط محكم سواء الصلوات الفردية او الصلوات الجماعية "ليتورچيا" حتى يكون صومنا ثابتاً ، قرباناً مبذولاً من جهتنا نقدمه بكل كياننا روحاً وجسداً ، فيصير صومنا ذبيحة وشهادة "مارتيريا" لمحبتنا للذى صام عنا ومن أجلنا ، ولما كانت محبتنا عرضة لان تصبح مجرد افكار نظرية واحاسيس عاطفية غير حقيقية أو واقعية ، لزم فى أصوامنا أن تقترن بأعمال الرحمة والمحبة والبذل والإنسكاب وخدمة الأعضاء المجروحة "الدياكونيا" ، والصوم

1) St. Antoine Le Grand, Letters, 1, 4.

المقبول ايضاً لا يتم إلا من خلال حياة الشركة "الكينونيا" شركة الثالوث المجيد ، شركة القديسين ومعية السمائيين ، وشركة المؤمنين في "الأسرار – التعليم الأغابي"..

والصوم أيضاً حالة تجلى ، وقد إختار السيد المسيح معه في التجلى اثنين من الصوامين موسى وايليا ، ليرينا أن طبيعتنا ستتجلى في الابدية بفعل الصوم ، لأن السيد المسيح صام {مت ٤:٢} ، وموسى النبى صام {خر ٤: ٢} ، وإيليا النبى صام {أمل ١٩:٨} ، من أجل ذلك تجلت طبيعتهم النورانية ، ونحن بصومنا ننال جزء من هذا الجسد النورانى المجد ونتذوق جسد القيامة ، فنعود للحياة الفردوسية.

والصوم ايضاً عمل من أعمال الخليقة الجديدة في الانسان الذى تقبل تجديد الروح وتغير عن شكله كما يقول القديس كيرلس عمود الدين "ان الذين لم يتقبلوا بعد تجديد الروح ، لا يستطيعوا أيضاً ان يختبروا إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة" اى انهم عبثاً يصومون ويصلون فتكون عبادتهم « ذاتية إستعراضية » انها رقعة جديدة في ثوب عتيق وخمر جديدة في زقاق عتيقة.

- الصوم والصلاة

الكنيسة تعلمنا بإستمرار ارتباط الصلاة بالصوم [الصوم والصلاة هما ...] ، فالصوم لا غنى عنه للصلاة التأملية فهو ينمى فينا إحساسنا بالأمور الروحية وتذوق العشق الإلهى ، والصوم علاقة قوية بالسكون والخلوة والميل للصمت ، وكان الآباء يضمون عادة في حياتهم وتوجيهاتهم الى الصوم السهر.. فالصوم يرقى فينا الإحساس بتذوق حلاوة الله وهذا التذوق يدفعنا لمجافاة النوم والتضحية براحتنا الجسدية حتى نحظى بنصيب اوفر في الإستمتاع الواعى بالحضرة الإلهية والمناجاة معه ، ولا يوجد شئ افضل من السهر للتعبير عن يقظة الروح وانتباهها حتى لا يباغتها الفتور الروحى ، وعن انتظارها الحار المتلهف لمقابلة العريس السماوى وزياراته التى تُعدنا لمجيئه في اليوم الاخير ، وبالصوم نعيش المضادات

الاساسية التى يطربها المسيح ربنا في الموعظة على الجبل ، لان كل من يستطيب حلاوة الحياة مع الله سيمقت كل تنعمات هذا العالم ، فلا يمكن لاحد ان يخدم سيدين..

- معنى الصوم

ومن المعانى الاساسية للصوم في روحانيتنا الارثوذكسية ، اننا في حالة تحضير وتوقع يتأسس على ما سيأتى بالانفتاح الكيانى للفرح الآتى ، لذا نجد في التقليد الطقسى للكنيسة هذا الصوم الكلى في التهيئة الاخيرة لعيد الاعياد ، والذى نجده قبل كل شيء في الصوم الافخارستى وهى الطريقة الاساسية لتهيئتنا للعشاء على مائدة المسيح في ملكوته .

ان الغاية من الصوم هى تحرير الانسان من عبودية الجسد ، من الاستسلام للشهوة التى هى النتيجة المأساوية لخطية الانسان الاصلية ، ولا هدف للكنيسة إلا ان تجعل حياة الانسان في شركة مع الله ، شركة مع الثالوث القدوس .

وكما ان الطعام في هذا العالم يحقق غايته فقط عندما يهضم ويتحول الى حياة كذلك حياة العالم الذى سيأتى تُعطى لنا بواسطة وسائط النعمة حيث الكنيسة التى لا خلاص لاحد خارجها .

انه من الضرورى استعادة الوجه الحقيقى للصوم وروحانيته ، وهذا لا يتم إلا بفهم اصيل للطقس الصيامى والعبادة بكل ما تحتويه من قراءات ومردات وقطع والحان ، ويشبه الآباء عادة الصوم كرحلة الاربعين سنة التى قضاها الشعب المختار في الصحراء ، لتكون الغاية النهائية من الصوم هى الفصح (ارض الموعد) ، أى ملكوت الله في القيامة.

ومن الضرورى ان نجعل هذه الحياة بجملتها تذوقاً مسبقاً وتهيئة للملكوت ، وان نجعل من اعمالنا علامة وتثبيتاً ورجاء بالعالم الذى "سيأتى".. ملكوت الله الذى هو فيما بيننا والذى ايضاً سيأتى ، هذا الملكوت الذى نترجاه ونقول :

[ليات ملكوتك ياربى وروحك القدوس

يملأ قلبى ، هذا رجائى وطلبى ، يا ابانا الذى فى السموات]

وان كان صومنا فى هذه الايام ، لم يعد تهيئة للموعوظين من اجل المعمودية ، ولكن بالرغم من اننا معمدون وممسوحون امازلنا موعوظين ؟ امازلنا نعود الى هذه الحالة كل سنة ؟ ألا نبتعد عن السلوك بحسب الدعوة التى دعينا اليها ؟ ألا نحتاج فى غربتنا الى هذه العودة السنوية الى جذور ايماننا ولنذر معموديتنا بالتوبة التى هى معمودية ثانية ، والى المعنى الحقيقى للحياة المسيحية وصليبها لنتمتع بملكوت الله داخلنا .

ويرى القديس كيرلس الكبير "أولئك الذين استناروا بحكمة المسيح يصومون صوماً ذهنياً باتضاعهم امام الحضرة الالهية وتأديب انفسهم طوعاً لا كرهاً بالعمل والتقشف ، فانهم بهذا ينالون غفران ذنوبهم ونوال النعمة وقتل ناموس الخطية القاتلة للنفس والجسد" .

لذلك ينبغى ان نعى وندرك ماهية الصوم بفهم جديد يليق بالعهد الجديد لانه (ليس احد يُخيط رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق) [مر ٢ : ٢١] ، (وليس احد يجعل خمراً جديداً فى زقاق عتيقة) ، ومن ثم نقول انه لن يكون لصومنا معنى إلا بممارسة التوبة بكل اعمالها فى القلب داخلياً فى ندامة ومطانيات وصراخ انه الثوب الجديد والزقاق الجديد ، وممارسة العبادة بفكر وذهن جديد ، وبالجملة يقودنا الصوم الى تحرير النفس وانعاش القلب فى الداخل بالتحلى بكل الفضائل السليمة والسجايا العالية ، مميزين بين الاعمال العتيقة والجديدة محتفظين بالثوب الجديد الذى ألبسه ايانا الرب فى المعمودية.

ونحن فى الصوم نطل على الحياة الابدية بجسد مائت عن كل شهوات العالم الحاضر ، نجوع ونعطش صائمين عن كل شهوات الجسد وأهواء النفس وعيوننا شاخصة نحو الملكوت فى انتظار البر الابدى ، لنشبع من دسم الخيرات غير المنظورة التى للحياة الابدية ، علينا ان نصوم لان العريس قد رُفع ، نجوع

ونعطش اليه ، وهذا هو مفهوم الصوم (الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات) [غل ٥ : ٢٤] ، لان محبة الله تحصرهم ، إذن علينا ان نهتم بما فوق لا بما على الارض ، ونطلب أولاً ملكوت الله وبره ، فالصوم عمل من اعمال الخليقة الجديدة فى الانسان الذى تغير عن شكله بتجديد ذهنه ، مختبراً ارادة الله الصالحة المرضية الكاملة كدرع واقٍ ، وإذ نصير هكذا مجهزين ، عندما يقترب منا الشيطان ننتصر عليه ، فنربح كل شىء .

ويوصينا القديس ديديموس الضرير المبصر "كما هو مفيد اننا نتعفف عن اكل لحوم الحيوانات ، التى هى التعاليم الفاسدة ، والعقائد الخاطئة ، كذلك من المفيد والمفضل ان نرفضه ونهرب من (جفنة سدوم) " [تث ٣٢ : ٣٢] ، وكذا ايضاً الخمر المستخرج فيها ، فإذ نكمل الصوم بهذه الطريقة يجب ان نستمر فيه بروح النوح [أى قرع الصدر] الممتزج بالتنهدات ، فالصوم مرتبط ارتباطاً صميماً بالصليب والقيامة والصعود ، وكأنه طريق صاعد الى فوق نحو السماء فإذا علمنا ان المسيح هو الطريق ، تمكننا ان ندرك كيف مهد بحياته الطريق الى الملكوت بالإقتداء به.

لذلك يعتبر الصوم فعل توبة ورجوع ، وفعل محبة بالدرجة الاولى وجزء لا يتجزأ من اختبار الصليب ومدخلاً لطريق الحياة (لان من يهلك نفسه من اجلى فهذا يخلصها) [لو ٩ : ١٢] ، وعندما نشترك سرياً فى الجسد والدم فى القداس الالهى، فنحن نشترك فى صليب ربنا ونرفع اجسادنا قرباناً لله ، (يحمل صليبه كل يوم) ، بل ونشترك فى حياة سرية مبذولة وجسد تدرب بالصوم والنسك على الآلام، ومن له اذنان للسمع فليسمع !!

وهذه هى بعينها العقيدة الارثوذكسية التى تسلمتها الكنيسة من جهة الجهاد والإنسكاب والحرارة والرجولة الروحية والإيمان العامل (لان الله هو العامل فيكم وان تريدوا ان تعملوا) [فى ٢ : ١٣] .

والمسيح الهنا الذى احتمل الجوع والصوم ، لكى يكون لنا بداءة خلاصنا

ونموذجاً لحياة لا عيب فيها ، يجعل صومنا ايضاً بداءة احتفالتنا المقدسة ، لكى نُعَيِّد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الاخلاص والحق (١ كو ٥ : ٨) ، وان حفظنا نفوسنا اطهاراً وانقياء ملازمين بثبات اسلوب حياة ترضى الله ، فاننا مثل العبيد الامناء سوف نسمع فى الوقت المناسب هذه الكلمات :

(نعماً ايها العبد الصالح والامين ، كنت اميناً فى القليل فأُقيمك على الكثير) (مت ٢٥ : ٢٣) .

لان الذين يترجون الله لن تضيع ثمار صومهم ، ولن يسمعوا قط تلك الكلمات المخيفة التى قيلت لليهود (أمثل هذا يكون صوماً اختاره يقول الرب) .

لانه هكذا يشكوهم عن حق فى كلمات اشعياء النبى (تصومون وبصومكم تضربون المسكين ، فما هو صومكم لى ؟) (أش ٥٨ : ٤) .

والمجد والإكرام للذى صام عنا أربعين يوماً واربعين ليلة بسر لا ينطق به ، رئيس الكهنة الاعظم الى الابد ، آبانا الذى فى السموات نعترف له بالقيثارة فى كنيسته التى اسسها ليمنحنا سلامه الذى يفوق كل عقل ، ولا يطرحنا على يساره مع الجداء الخطاه ، اطرد الشيطان عنا لنكمل بسلام لانه ليس لنا سواك واجعلنا مستحقين نعمتك ايها المخلص فى هذه الايام ، ونحن بلا خطية مع صوم نقى واجعل ابواب الكنائس مفتوحة لنا وكملنا فى الإيمان المستقيم ، واحفظ لنا وعلينا حياة حبيبنا البابا شنودة الثالث لانك تسمع الصلاة ويأتى اليك كل بشر.

الفصل الثالث

الصوم فى المفهوم الآبائى

الصوم فى المفهوم الآبائى

ما هية الصوم [تعريف الصوم] فى فكر الآباء :-

الصوم هو بداءة طريق الله المقدس ، وهو صديق ملازم لكل الفضائل .

الصوم يتقدم الفضائل فى بداية المعركة الروحية ، ويحفظ العفة ، فهو ابو الصلاة ونبع الهدوء ، ومعلم السكوت ومشوق العقل لعشرة الله .

(مار اسحق السريانى)

أليس الصوم هو والد كل نوع من الفضيلة ؟ الصوم هو مشابهة سيرة الملائكة فيه ينبوع التعقل ، وبدء انضباط النفس .

(القديس كيرلس الكبير – العظة الفصحية)

الصوم غصب الطبيعة ، وختان لذة الحنجرة ، ومنع الشهوة ، اقتلاع الافكار الرديئة ، نقاوة الصلاة ، نور النفوس ، حارس العقل .

(القديس يوحنا الدرجى – الدرجة ١٤)

الصوم هو ايقونة الحياة العتيدة ، مشابهة حياة عدم الفساد.

(استريوس اسقف اميسا فى بنطس سنة ٤١٠ م)

الصوم يقود الانسان نحو الله .

(القديس باسيليوس الكبير – عظة ١ : ٥)

الصوم حارس الصغار ، يعقل الشباب ، يعطى الهيبة للشيوخ ، صون لرباط الزيجة ، مربى البتولية .

(القديس باسيليوس الكبير – عظة ٢ : ٥)

كما ان القيامة تقدم لنا حياة تتساوى مع الملائكة ، ومع الملائكة لا يوجد طعام ، فان هذا يكفى للإعتقاد بان الإنسان الذى سيحيا على الطقس الملائكى يتحرر من هذا العمل « العبودية للأطعمة والمشروبات »

(القديس إغريغريوس النيصى) [1]

ان الامر مخجل بالنسبة لمحبى الجسد والبطنة ان يبحثوا عن الامور الروحية ، تماماً مثل زانية تتحدث عن العفة !

ان لم يتقدم المسافرين يوماً بعد يوم عبر الطريق فى رحلتهم ، وعلى العكس ، ان وقفوا فى مكان واحد ، فان الطريق امامهم لن ينتهى ابداً ، ولن يصلوا الى غايتهم ، هكذا الامر معنا ايضاً !

إن لم نغصب انفسنا أولاً بأول وبالتدريج شيئاً فشيئاً ، لن تكون لنا القوة على التخلى عن الامور الجسدانية لكى ما نتطلع ناظرين نحو الله.

(مار اسحق السريانى)

ليس من المهم ان تصوم بطنك (فقط) بل ان تُصوّم لسانك عن الكلام ، وان تُصوّم عقلك عن التفكير فى الشر وان تمتنع عن الخطية ، فهذا هو صوم الروح الحقيقى ، والذى ليس من الضرورى ان يقترن بصوم الجسد.

(القديس يوحنا ذهبى الفم – عظة ١٠ : ٢ على التكوين)

- لماذا صام المسيح وجُرِّب ؟

لما صام يسوع المسيح لم يكن محتاجاً الى الصوم بل ليعلمنا ، وكما ان الطبيب عندما يعالج مريض حتى يشفيه يمنع عنه الاشياء التى سببت له التعب ، فآدم طُرح خارج الفردوس بسبب عدم ضبطه لشهواته ، والمسيح لاجل تعليمنا صنع واحتمل كل شىء ... فآدم الاول علة سقوط وآدم الثانى ربنا يسوع موضع النصرة.

(القديس يوحنا ذهبى الفم)

1) On Making of Man 18 : 9.

● أساس فعل الصوم :-

الإنسان الأول إذا أطاع بطنه لا الله طرد من الفردوس الى وادى الدموع
(القديس چيروم)

أتانا الإبن الوحيد منحدراً من السماء الى الأرض وتجسد ، وعرفنا الطريق الى الخلاص ، عاملاً ومعلماً ، وأول درس علمه وعمله لإنارة طريق الخلاص الذى يعتقنا من سلطان السقطة التى هوت بآدم ، اى كسر الوصية بشهوة الأكل ، هو الإنفراد فى البرية وصيامه أربعين يوماً وأربعين ليلة ، وغلب الشيطان المجرب مصرحاً (هذا الجنس لا يخرج بشئ الا بالصلاة والصوم).
(القديس يوساب الأبح)

صام ليس لأنه محتاجاً للصوم فهو بطبيعته طاهر ، بل لكى يشهد ليوحنا ولنا ويعطى لنا نفسه مثالاً حقاً .

(القوانين الرسولية ٧:٢٢:٥)

من اجلنا صام أربعين يوماً ، ليكشف لنا الدواء لخلاصنا ، وهو لم يستطرد فى الصوم اكثر من ذلك لكى لانشك فى تدبيره للخلاص من غرابة المعجزة .
(القديس يوحنا ذهبى الفم عظة ١٣ :٢ على إنجيل متى)

● الصوم الحقيقى فى نظر الآباء.

إن آباء الكنيسة فى تعليمهم الرعوى عن الصوم لم يكونوا يكتفون بالصوم الجسدانى المادى [الصوم عن بعض انواع الاطعمة] ، بل كانوا يؤكدون دائماً على إقترانه بالصوم الروحى ، لان فعل الصوم عمل روحانى بالاحرى.

الله لا يرغب فى الصوم الباطل ، لأن الصائم لله بهذه الطريقة التى تفعلها لايصنع شيئاً لحياة البر ، إنما صوم الله صوماً مثل هذا : لاتفعل شراً فى حياتك، واعبد الرب بقلب طاهر ، واحفظ وصاياه سالكاً فى تعاليمه ، ولا تدع

شهوة الشر تصعد فى قلبك ، وآمن بالله ، فإن فعلت هذا فإنك تصوم صوماً عظيماً ومقبولاً امام الله.

(كتاب "الراعى" – هرماس)

الصوم هو امتناع عن كل الشرور الشائعة عموماً سواء تلك التى بالفعل أو بالقول اوبالفكر.

(القديس اكليمنضس السكندرى)

لا تظن أن هكذا ببساطة يكون الصوم ، لأنه ليس المنقطع عن الأطعمة وحده هو الصانع خيراً ، بل المنقطع عن كل فعل شرير ، بهذا يدعى صوم ، لأنك طالما أنت تصوم تحفظ فمك عن الثرثرة بالكلام الشرير ، فإن كنت لا تطرد الكلام الشرير من فمك الصائم ، فلن تنتفع شيئاً.

(القديس أثناسيوس – رسالة الي العذارى)

الإنقطاع عن الأطعمة لا يكفى فى ذاته ليكون صوماً ممدوحاً ، بل لنصم صوماً حسناً مقبولاً لله . الصوم الحقيقى هو الإبتعاد عن الشر ومجانبته ، ضبط اللسان ، الكف عن الغضب ، وغياب الرذائل هو الصوم الحقيقى . وبهذا يكون صومك حسناً .

(القديس باسيليوس الكبير – عظة ٢:٧)

فالصوم ليس هو فقط الإمتناع عن أنواع من الأطعمة وليس فقط الإنقطاع تماماً من الصباح حتى المساء ولكن الإثنين معاً.. على ان الآباء يؤكدون على الصوم الروحى بجانب الصوم الجسدى .

(القديس امبروسيوس أسقف ميلان)

الصوم ليس مجرد امتناع عن الاطعمة ، بل الخطايا ، لأن طبيعة صوم مثل هذا ، لا ينجى من يمارسونه ما لم يكن بحسب الوصية (لا يكلل أحد إن لم يجاهد قانونياً) [٢ تى ٢:٥].

لذلك فحينما نسلك طريق تعب الصوم ، فلن نبلغ فى النهاية الى نوال اكليل الصوم ، فالفريسين صاموا لكنهم إرتدوا فارغين ، والعشار لم يصم ، لكنه كان مقبولاً أفضل من الذى صام ، يجب ان نتعلم كيف نصوم ونعرف القوانين حتى لانركض بغير يقين ولا نضارب الهواء ولا نصارع مع الخيال ، الصوم دواء لكن الدواء ، قد يكون بلا نفع ، وكثيراً ما يصير عديم الفائدة بسبب قلة مهارة من يستخدمه.

(القديس يوحنا فم الذهب – عن التماثيل ٢:٣)

لابد ان يكون الصائم ضابطاً لنفسه ، ساكناً ، لطيفاً ، متضعاً.

(القديس باسيليوس الكبير – عظة ٦:٨)

هل أنت تصوم ؟ ارنى ذلك بأعمالك . فإن رأيت مسكيناً فاشفق عليه . وان رأيت عدواً تصالح معه [ولكن لا يصم فمك وحده بل عيناك أيضاً وسمعك وكل أعضاء جسدك

(القديس يوحنا ذهبى الفم – عن التماثيل ٤:٣)

لا تصم بالخبز والملح وأنت تأكل لحوم الناس بالدينونة والمذمة ، لا تقل انا صائم صوماً " نظيفاً " وانت متسخ بكل الذنوب .

(الأنبا يوساب الأبح)

لو اعتقدنا ان الصوم من ضمن قائمة الفضائل ، ومجرد الإمتناع عنه صالح فى حد ذاته ، لكان الطعام أمراً شريراً .. فانه ليس فقط لا ننال نفعاً من إمتناعنا عن الطعام والشراب إنما نسقط فى بدعة ميلان .. لانه ليس شيء نجساً بذاته ، ولا أحد سيلام من أجل تناول الطعام ، انما يدان من أجل إرتباطه به او الإستعباد له ، وكما ان هذه الأدوات مفيدة للذين يفهمونها ، كذلك فهى غير نافعة للذين يجهلون إستخدامها ، وكما انها تُعين الذين يستخدمونها ، تكون بلا نفع للذين لا يعرفون غرضها بل يتوقفون عن مجرد إمتلاكها وليس العمل بها.

(الأب ثيوناس)

اننا مطالبون ان نصوم لا بالجسد بل بالروح ايضاً .. ان صوماً مثل هذا اذا حُفظ مقدساً لا يوصل الى توبة النفس وحسب ، لكنه يُعد القديسين ويسمو بهم عن الأرضيات.

(البابا أثناسيوس الرسولى)

• منافع الصوم روحياً

الصوم بإعتباره إمتناعاً عن الطعام هو إشارة لشيء ، فالطعام فى حد ذاته لا يجعلنا ابراراً او اشراراً اكثر ، وبحسب السر فكما تعطى الحياة لكل واحد عن طريق الطعام ، هكذا عدم الأكل هو رمز "الموت" ، وهكذا يجب ان نصوم عن العالميات لكى "موت" للعالم . وبهذا فإننا بالتالى حينما نتناول من الطعام الإلهى –أى جسد الرب ودمه– نحيا له.

(العلامة إكلمنضس السكندرى)

كل جهاد ضد الخطية وشهواتها يجب ان يبتدئ بالصوم ، واذا إبتدأت بالصوم فى جهادك الروحى ، فقد اظهرت بغضتك للخطية وصرت قريباً من النصرة .

(مار اسحق السريانى)

الصوم هو غذاء النفس ، وكما ان الغذاء الجسدى يشبع الجسد ، هكذا الصوم يجعل النفس شديدة الحيوية . فيه تتهيأ للنفس خفة مجنحة ، فيسمو بها فوق العالم ، ويؤمنها للرفعة الى ما فوق ، فتصير أعلى من الأرضيات .
والصوم يجعل الفكر شديد الإستنارة ، ويهيئ النفس – بالخفة – لتعبر بحر هذه الحياة الحاضرة .

(القديس يوحنا فم الذهب – عظة ١ : ٤ على التكوين)

كل من هو تحت وطأة روح شرير مخرب ، لو انه دهن بدواء الصوم لهرب الروح مقيداً لانه يخاف من الصوم .. أنظر ماذا يصنعه الصوم ؟

فهو يشفى الأمراض ، يخرج الشياطين ، يطرد الأفكار الشريرة ، يزيد

إستنارة العقل ، هو مطهر القلب مقدس الجسد ، مقرب الانسان الى عرش الله ، وعندك الشهادات فى الإنجيل {مت ٩ : ٢٩} .

(القديس أثناسيوس الرسولى – رسالة الى العذارى ٧)

يلزم أن نهب عناية كافية للصوم كوسيلة نصل بها الى نقاوة القلب وليس كفاية.

(الأب يوحنا كاسيان)

لقد أضاء وجه المسيح فى التجلى كالشمس ، وصار لباسه أبيض كالثلج ، وفى الواقع ان لباس ارواحنا هى أعضاء جسدنا التى تنال من قوة الطهارة والأصوام ضياءاً سماوياً كمثال للقيامة من الأموات. (١)

● الصوم لابد أن يقترن بالصلاة

مائدة الانسان الذى يداوم الصلاة هى أجمل من كل عطر المسك وأزكى من أريج الزهر ، ومحب الله يتوق اليها ككنز فائق القيمة !!

خذ لنفسك لحياتك من على مائدة الصوامين السهارى أولئك العماليين فى الرب، وإنهض نفسك من مواتها .. بين هؤلاء الصوامين يتكئ الحبيب ويقدسهم ، محولاً مرارة ريقهم الى حلاوة تفوق حد التعبير ، ويجعل السمائيين يعزونهم ويقوونهم .. إنى أعرف أحد الإخوة رأى ذلك ظاهراً بعينيه .

حينما ينحط الجسد بالأصوام تتشدد النفس روحياً فى الصلاة .

(القديس مار اسحق السريانى)

الصوم يصعد بالصلاة الى السماء ، كما لو كان قد صارا لها جناحان للعبور بهما الى فوق .

(القديس باسيليوس الكبير – عظة ١ : ٧)

1) Alerd de Rievaul Sermon inedite, ed Talbot, Rome, 1952, p. 110.

الصائم يكون خفيفاً مجنحاً ، وهو يصلى صاحياً ، ويخمد الشهوات والشرور.

(القديس يوحنا ذهبى الفم – عظة ٥٧ : ٤ على إنجيل متى)

بمجرد ان يبدأ الانسان فى الصوم ، فى الحال يندفع بالروح للحديث مع الله. الجسد الصوام لا يتحمل ان يقضى الليل كله نائماً على فراشه ، لان الصوم بطبيعته سيحبب له السهر مع الله .

(ماراسحق السريانى « النينوى »)(١)

● الصوم يقترن بالصلاة وأعمال الرعاية الإجتماعية

ان كنت تصوم بدون الصدقة ، فلن يحسب هذا العمل صوماً .

(يوحنا فم الذهب – عظة ٥٧ : ٦ على إنجيل متى)

الصوم هو قوة الفضائل الروحية ، هو بدء ونهاية الجهاد ، هو بالنسبة للفضائل فى المقام الأول ، وكما ان متعة الضوء تلتصق بالعينين اذا كانتا سليمتين ، هكذا الرغبة فى العطاء ترتبط تماماً بالصوم .. فالصوم والصلاة والعطاء ، أشقاء ثلاثة.

(أحد آباء البرية الشيوخ)

حينما تتم ما كتبت لك ، فإنك فى اليوم الذى تصوم فيه ، لا تذق شيئاً سوى الخبز والماء ، وعليك ان تحسب ثمن طعام هذا اليوم الذى كنت عتيداً ان تاكله ، ثم تقدمه لأرملة او يتيم ، او لأى شخص محتاج ، وهكذا تمارس إتضاع الفكر ، والذى إنتفع من إتضاعك تتشدد نفسه ويصلى من أجلك الى الرب .

(هرماس أمثلة – ٥ : ٣ : ٨)

إنى احزن من إنكم تفتكرون ان هذا – أى الصوم – الذى هو أدنى الفضائل كاف للخلاص مع ان امور أخرى اعظم وأهم منه كالمحبة والتواضع والرحمة تترك كلياً .

(يوحنا ذهبى الفم – عظة ٤٧)

1) St. Isaac de Ninva, Mystic Treatises Wensinck, p.161.

- فاعلية الصوم وقوته

أ) سلاح الصوم

ليس سلاح أقوى من الصوم يعطى شجاعة للقلب فى معركة الأرواح الشريرة. ان من يداوم على الصلاة يكون فى كل وقت مشتعلاً بالغيرة كالنار .

بسلاح الصوم نال جميع القديسين الأتقياء إكليل النصرة على أعدائهم ، لانه أثناء الصوم يكون العقل مستعداً ان يحتمل أشد الضربات وأسوأ الحوادث المفاجئة دون ان يهتز .

يقال بخصوص الشهداء انهم حينما كان يبلغهم خبر اليوم الذى ينالون فيه إكليلهم ، كانوا لا يذوقون شيئاً البتة ، ويتوقون وهم صائمون الى ضربة السيف ليكللوا بإكليل الشهادة .

(مار اسحق السريانى)

لقد جرب آبائنا الصوم كل يوم فوجدوا انه نافع وموافق لنقاوة النفس ، ونهونا عن إمتلاء البطن من أى طعام كان حتى ومن الخبز البسيط او من الماء ايضاً .
(الآب يوحنا كاسيان)

فلنحب الصوم جداً ، لان الصوم حصن عظيم – المسيح يطلب منك جسداً غير دنس مماتاً بالصوم .

(البابا أثناسيوس الرسولى – رسالة الى العذارى ٦)

ب) الصوم من أجل الطاعة

نحن نتقبل الصوم بسرور ، لان الذين سبقونا أمرونا به ، وبالأكثر لان ممارسة الصوم من أجل الطاعة بمثابة جلد الشيطان بالسياط .
(القديس نيلس – رسالة ١ : ٣٠٧)

اذا افطرنا يا إخوتى والكنيسة صائمة نكون قد افرزنا انفسنا وصرنا سبب إنحلال للضعفاء ، فلا تفطروا قبل ان تفطر الكنيسة ، كذلك لا تصوموا بعد ان يتم الصيام وتفطر الكنيسة ، إلا ان يكون قانوناً موضوعاً من معلم التوبة بمشورة معلم مدبر ، لئلا يكون صومكم غير مقبول ويجلب عليكم العظمة والإفتخار ويولد فيكم الدينونة.

لا تدقق فى صوم وتتهاون فى آخر ، لانى رأيت كثيرين يفطرون الأربعين المقدسة ، وفى صوم العذراء يصومون صياماً فائقاً عن وضع الكنيسة بأهوية قلوبهم وبدون مشورة معلمى البيعة .

(الأنبا يوساب الأبح أسقف جرجا)

أى مسيحى هذا الذى بالرغم من انه فى صحة جيدة وقادر إلا أنه يرفض ان يصوم مع موسى وإيليا بل ومع الرب نفسه ، إنهم لا يقدرون لانهم لا يريدون ، إنى أحذركم بل اترسل اليكم فى الرب ، لا يأكل او يشرب أحد قبل العصر ما عدا أيام الآحاد.

(إمبروسيوس عظة ٩ عن الصوم الكبير)

- الصوم كذبيحة

إعتبر الآباء الصوم ذبيحة وكمثل لهذا يقول هرماس فى كتابه الراعى :-
إن كنت تحفظ الصوم كما أوصيتك به ، فذبيحتك ستكون مقبولة أمام الله ، وسوف يسجل لك هذا الصوم ، وهذه الخدمة التى قدمتها كذلك ، شريفة ومقدسة ومقبولة للرب .

(هرماس – الأمثلة ٥ : ٣ : ٨)

الصوم علامة التوبة.

(أوريجانوس - عظة ٢٠ : ٩)

الصوم كان يمارسه المسيحيون من أجل مضطهديهم.

(الديداخى ١ : ٣)

وينصح به القديس يوحنا ذهبي الفم وقت التجارب.

(عظة ٣١ : ٢ على سفر الأعمال)

الصوم والتعقل وضبط النفس .

(القديس كيرلس الكبير - العظة الفصحية
& القديس يوحنا الدرجى الدرجة ٤)

الصوم وعدم فعل الشر وتجنب الكلام البطال والغضب.

(القديس أثناسيوس الرسولى - رسالة الى العذارى)
(القديس باسيليوس الكبير - عظة ٢ : ٧)

الصوم القانونى وطرد الأفكار والسكينة واللطف والوداعة.

(القديس يوحنا فم الذهب - عن التماثيل ٣ : ٣)
(القديس كيرلس الكبير - عظة فصحية ١)
(القديس باسيليوس الكبير - عظة ٨ : ٦)

الصوم والأعمال ومحبة المساكين والمصالحة وصوم الحواس.

(القديس يوحنا فم الذهب - عن التماثيل ٣ : ٤)
(الأنبا يوساب الأبح)

الصوم وأعمال الرحمة والرعاية الإجتماعية.

(القديس يوحنا فم الذهب - عظة ٥٧ : ٦ إنجيل متى)
(هرماس الراعى)

الصوم لابد ان يقترن بالصلاة.

(القديس باسيليوس الكبير - عظة ١ : ٧)
(القديس يوحنا فم الذهب - عظة ٥٧ : ٤ إنجيل متى)

الصوم أكبر معين على تهذيب الحواس ، لان فى البطن الممتلئ بالأطعمة لن يوجد مكان لمعرفة اسرار الله.

(مار اسحق السريانى)

تأكد تماماً ان العدو يهاجم القلب عن طريق إمتلاء البطن.

(القديس يوحنا كرونستادت)

إحذر من خداع البطن اذ تكون مملوءة وتصيح انها جائعة ، وإعلم ان الشبع من الطعام هو أبو الزنا واذا قسونا قليلاً على بطوننا تذللت وإنغلقت أفواهنا ، أما اذا لذذناها بالمآكل فرحت ومرحت عقولنا وإنسابت ألسنتنا ، وإعرف ان الشيطان فى اكثر اوقاتنا يجلس فى البطن ويرسل لنا شيطان الزنا بعد ان يخبره بما جرى ، فإن كنت عاهدت المسيح ان تسلك فى الطريق الضيقة فضيق بطنك أولاً لان البطن العريض الواسع يستحيل ان يسير فى طريق الرب الضيقة.

كن سيداً على معدتك قبل ان تسود هى عليك ، الذى يرعى شرهه ويأمل فى التغلب على روح الفجور يشبه من يحاول ان يخمد النار بالزيت.

(القديس يوحنا الدرجى) [1]

---

1) LADDER, STEP 14

كل جسد يؤهل للتغيير ويخضع للروح القدس بالصوم ، واعتقد انه يجعلنا ننال نصيباً من الجسد الروحى المزمع ان نكون عليه فى قيامة الابرار .

(الانبا انطونيوس)

• الصوم فى جنة عدن :-

يتفق الآباء على ان الصوم كان هو طبيعة الحياة فى الفردوس قبل السقوط كما يتضح من قول القديس باسيليوس :-

الصوم اقدم عهداً من الناموس... فليكن فى اعتبارنا قدم عهد الصوم ، فهو من عمر البشرية ، قانون الصوم شرع الفردوس . آدم اخذ الوصية الأولى (من شجرة معرفة الخير والشر لا تاكل) كلمة لا تاكل هى قانون الصوم . فلو كانت حواء قد صامت عن الشجرة لما كنا فى حاجة الى الصوم الآن ، وطريقة العيشة فى الفردوس كان الصوم طابعها.

(القديس باسيليوس الكبير عظة ١ : ٣)

ان اول وصية وضعت على طبيعتنا فى البداية كانت ضد تذوق الطعام ، ولكن سقط رئيس جنسنا آدم ، لذلك فان اولئك الذين يجاهدون من اجل خوف الله يجب ان يبدأوا البناء من حيث كانت الضربة الاولى .

ومخلصنا الصالح حينما اظهر نفسه للعالم عند الاردن إبتدأ من هذه النقطة فحينما إعتمد ، قاده الروح الى البرية مباشرة فصام اربعين يوماً واربعين ليلةً ، وكل الذين يريدون ان يتبعوا خطواته يجب ان يضعوا اساس جهادهم على نموذج عمله.

هذا السلاح « الصوم » قد صقله الله فمن ذا الذى يجترئ على احتقاره ؟ وان كان معطى الناموس نفسه قد صام فكيف لا نصوم نحن الذين وُضع الناموس من اجلنا ؟

(القديس مار اسحق السريانى)

اننا بالأكل قد انغلبنا فى آدم وبالإمساك عن الأكل غلبنا فى المسيح ، والذى ساد قديماً على آدم ، قد مضى الآن خائباً ، لكى ندوسه تحت ارجلنا.

(القديس كيرلس الكبير -تفسير لو ٤:١)

لم يصم المسيح من أجل نفسه هو - إذ هو الاله - بل لانه صار إنساناً ومشابهاً لنا ، كان يعيد تشكيل طبيعة الانسان بكاملها في ذاته الى حياة مقدسة وبلا لوم . فقد صار (هو متقدما فى كل شئ) (كو ١: ١٨) (حتى إننا أيضاً جميعاً نتبع خطواته) (١بط ٢:٢١) ننال فى أنفسنا إماتته أى إضمحلال قوة الخطية من أجسادنا فنرتقى الى الحياة التى بلا لوم.

(القديس كيرلس الكبير - تفسير ٢ كو ٤:١٠)

ليخزى الشيطان بواسطتنا ، لأن ما يقوله الرب إنما هو لأجلنا ، لكى إذ تسمع الشياطين منا كلمات كهذه تهرب خلال الرب الذى إنتهرها بهذه الكلمات.

(العظيم الأنبا أنطونيوس)

الفصل الرابع

الصوم فى المنهج الليتورچى

الصوم فى المنهج

الليتورچى

الصوم مدخل الى الفصح (القيامة)

Lent : Journey to pascha.

حينما يبدأ الانسان رحلة ما ينبغى عليه ان يعرف الى اين هو ذاهب ، وهذا هو نفس الامر بالنسبة للصوم . فالصوم فوق كل شىء وقبل كل شىء ، وهو رحلة روحية *SPIRITUAL JOURNEY* ونهاية هذه الرحلة وغايتها هو الفصح او عيد القيامة "عيد الاعياد" *THE FEAST OF FEASTS* فالصوم هو اعداد لتكميل الفصح والبصخة ، واعداد لرؤية القيامة ومعاينة افراحها التى نتهلل بها فى ذكصولوجية عيد القيامة ونقول [حينئذ امتلئ فمنا فرحاً ولساننا تهليلاً لان ربنا يسوع المسيح قام من بين الاموات بقوته ابطل الموت وجعل الحياة تضىء لنا ، فلهذا نحن أغنياء بالخيرات الكاملة] ، لذلك ينبغى علينا ان نفهم معنى ومغزى الصوم الكبير كرحلة تقودنا الى عيد القيامة ، لأن هذا الفهم يكشف لنا أمراً أساسياً وحاسماً جداً فى حياتنا المسيحية.

والكنيسة قبل أن تعيد لقيامة المخلص تعبر الأربعين المقدسة ثم البصخة والصليب حتى تصل بنا لنوال رؤية القيامة كعربون لقيامتنا الحقيقية.

انه من الضرورى ان نعرف ان عيد القيامة هو اكثر من مجرد كونه واحد من الاعياد ، وأعمق من ان يكون تذكاراً سنوياً لحادث قديم مضى !! إن أى مسيحى إشترك ولو لمرة واحدة فى تلك الليلة ، ليلة قيامة المسيح " التى هى أكثر إشراقاً ولمعاناً من النهار " *BRIGHTER THAN THF DAY* . وتنوق الفرح العجيب والفريد فرح رؤية قيامة المسيح فى داخله [قام المسيح من بين الأموات ورد أعدائه الى خلف وأعطاهم عاراً أبدياً ، قد قام الله مثل النائم... يسوع المسيح ملك المجد قام من بين الاموات] ، يعرف ان عيد القيامة هو اكثر من مجرد عيد من الاعياد ، ولكن ما هو موضوع هذا الفرح ؟ ولماذا نرتل فى قداس عيد القيامة وبى الخماسين المقدسة [بالموت داس الموت ورهب الحياة الابدية للذين فى القبور] إنها الحياة الجديدة التى أشرقت وبزغت لنا من القبر منذ حوالى ألفي عام ، قد اعطيت لنا نحن ، ووهبت لكل الذين يؤمنون بالمسيح. [سحق الابواب النحاس وكسر المتاريس الحديد وأخرج مختاريه بفرح وتهليل] هذا ما نترنم به فى ذكصولوجية مديح عيد القيامة المجيد والخماسين.

وقد أعطيت لنا القيامة يوم معموديتنا التى فيها (دفنا مع المسيح للموت ، حتى كما أقيم المسيح من الاموات.. هكذا نسلك نحن ايضاً فى جدة الحياة) (رو ٦ : ٤) . وهكذا فاننا فى عيد القيامة نحتفل ونعيد لقيامة المسيح لا كحدث قد وقع فى الماضى ، بل كحدث لا يزال يحدث لنا الى الآن ، وهو ما يقرره لنا تقليدنا الليتورچى القبطى فى إبصالية عيد القيامة [كل جنس البشر جميع طرقهم مستقيمة لأن الكلمة محب البشر. المسيح قام].

كل واحد منا قبل هبة الله الحياة الجديدة هذه لكى يعيش بموجبها تلك الهبة التى تغير تغييراً جذرياً فى موقفنا تجاه كل شىء فى هذا العالم بل وتغير موقفنا من الموت نفسه ، إنها تجعلنا نستطيع أن نؤكد بفرح : " لقد أبيد الموت " . رغم اننا نعرف ان الموت لا يزال موجود ولا نزال نواجهه وسيأتى الينا يوماً ما ليأخذنا ، ولكن ايماننا الأكيد هو ان المسيح بموته غير طبيعة الموت نفسها ، وجعل الموت عبوراً الى ملكوت الله ، فعندما نصلى من اجل الراقدين نقول [ليس موت لعبيدك بل هو انتقال] ، فالمسيح الذى داس الموت بالموت أنعم للذين فى القبور بالحياة الأبدية وجعلنا مشتركين فى قيامته ، تلك التسبحة التى نسبح بها فى إبصالية القيامة [يسوع المسيح خلص شعبه من إبليس بذراعه ، فرحاً وتهليلاً اعطاهما لنا الله لان ملكنا عمانوئيل. المسيح قام من الاموات].

هذا هو ايمان الكنيسة الذى يؤكده ويظهره عدد لا يحصى من قديسيها على مر العصور. [كل اجناس البشر تسبح قيامتك ، لوقا الحكيم ويوحنا حبيبه يبشرون جيداً : يسوع المسيح قام ها ان الرسل رأوا وفرحوا وكرزوا فى العالم لان ملك المجد يسوع المسيح قد قام ، اله الأنبياء والابرار والصديقين هو السيد ، المسيح قام]

وبعد كل هذه التسبحة ألا نلاحظ فى خدمتنا اليومية ان هذا الايمان الحى نادراً ما نراه فى واقع حياتنا الآن ، واننا فى معظم الاحوال نخون "الحياة الجديدة" التى قبلناها وأخذناها كهبة ، ونعيش وكأن المسيح لم يقم من بين الاموات ، وكأن القيامة الفريدة ليس لها أى معنى بالنسبة لنا ؟ ان السبب ضعفنا وتخاذلنا وفتورنا وعجزنا عن ان نحيا بالايمان والرجاء والمحبة.. وهو ما توجه الكنيسة انظارنا له فى الاحد الاول من الصوم الكبير (إطلبوا أولاً ملكوت الله وبره) (مت ٦ : ٣٣) وللاسف نحن غارقون فى إهتمامتنا اليومية ، ولاننا ننسى فاننا نفشل ونسقط .. وتصبح حياتنا "قديمة" مرة أخرى ، تصير حياتنا مظلمة ومضيعة وتافهة وفى النهاية تصير بلا معنى ، تصير الحياة رحلة لا معنى لها ولا غاية ، حتى يأتينا الموت فجأة.

ينبغى ان نرجع حياتنا الى الحياة الجديدة التى أعلنها السيد المسيح لنا وكشفها بل ووهبنا إياها ، وفى الحقيقة اننا اصبحنا نعيش كأن المسيح لم يأتى الى العالم بالمرة ، وهذه هى الخطية الحقيقية الوحيدة خطية جميع الخطايا.. انها مأساة المسيحية الاسمية ، فإذا كنا قد ادركنا هذا حينئذٍ يمكن ان نفهم ما هو الفصح المسيحى ولماذا نحتاج الى الصوم قبله ؟ من أجل إعدادنا وتهيئتنا لعيش القيامة وجدة الحياة المقامة فى المسيح يسوع ، وهنا يمكن ان نفهم ان طقس العبادة الليتورجية فى الكنيسة ، بكل دوراتها وخدماتها بحسب نظام السنة الطقسية الليتورجية ، انما هى موجودة لكى تساعدنا على إستعادة رؤية الحياة الجديدة وتذوقها – تلك الحياة التى نفقدها ونخونها وننساها ونضيعها – وفى الصوم نستعيد رؤية الحياة الجديدة لكى نتوب ونرجع اليها من جديد ، لأنه كيف يمكننا ان نطلب ملكوتاً ليس لنا أى إرتباط به ولا أية فكرة عنه ؟ ان عبادة الكنيسة الليتورجية هى وسيلة دخولنا الى تذوق حياة الملكوت الجديد والشركة فيها...

فنمشى الرحلة الى حضن الآب [أحد الإستعداد – أحد التجربة – أحد الإبن الشاطر – أحد السامرية – أحد المخلع – أحد المولود أعمى « أحد التناصير » ، أحد الشعانين حتى أحد القيامة العظيم].

إذ ان الكنيسة من خلال عبادتها تعلن لنا شيئاً من ذلك الذى لم تره عين ، ولم تسمع به أذن وما لم يخطر على قلب بشر الذى اعده الله للذين يحبونه ، وفى مركز عبادة الكنيسة ومحور حياتها الليتورجية يوجد عيد القيامة كقلب هذه العبادة وذرتها وقمتها ، وهو مثل الشمس يشرق بأشعته فى كل مكان وفى كل زمان ، لان القيامة هى الباب الذى ينفتح لنا كل سنة على بهاء ولمعان مملكة المسيح ، وهى عربون الفرح الابدى الذى ينتظرنا وهى مجد الانتظار الذى يملئ الخلقة كلها فمنذ الآن أبيد الموت لذلك نترنم فى تسابيح القيامة الكَنَسيَّة ونقول :-

[من اجل القيامة المقدسة سبحوا وهللوا ورتلوا وبشروا فى الامم ، الطغمات تسبحه ، تهلل يا جنس آدم بفرح روحى ها البرية كلها تفرح معاً لان اسم الإفتخار هو إسمه تهللوا ايها الأنبياء لان السيد غير المدرك الهنا يسوع المسيح قد قام ، السلام للقيامة والقبر والدم الذى سفكه الوحيد يسوع المسيح قد قام].
(إبصالية عيد القيامة)

إن عبادة الكنيسة كلها مرتبة ومنظومة حول عيد القيامة الذى هو قلب السنة الليتورجية ، والقيامة هى النهاية والغاية وهى ايضاً البداية والنهاية... ولاهميتها هذه يأتى دور الصوم الكبير ، وبالصوم تقدم لنا الكنيسة معونة ، تقدم لنا مدرسة للتوبة تمكننا بها من ان نستقبل عيد القيامة وفرح القيامة التى هى نهاية القديم ودخول الى الجديد لذلك نقول : [ويرينا فرح قيامته سنين كثيرة].

وقد كان الغرض الرئيسى من الصوم فى العصور الأولى هو إعداد الموعوظين وتهيئتهم للمعمودية ، هكذا ظل غرض الصوم.. فإن كان عيد القيامة هو رجوعنا كل سنة الى معموديتنا ، فيكون الصوم هو اعدادنا لهذا الرجوع كل سنة الى معموديتنا ، اعدادنا لهذا الرجوع بالتوبة والمصالحة والصلاة والاعتكاف

والميطانيات والمجاهدة ، واعمال الرحمة مع الصوم فنأتى فى النهاية الى العبور ، عبورنا الى الحياة الجديدة فى المسيح لكى نذوق فرح قيامته ونراها فى اليوم الذى صنعه الرب لنتهلل ونفرح فيه.

وان كانت عبادة الكنيسة فى الصوم الكبير لا تزال تحتفظ الى اليوم بسمات اعداد الموعوظين للمعمودية ، فإنما هذا لكى يكون لنا فى كل سنة إعادة إكتشاف وإستعادة للهبة الالهية التى وُهبنا إياها... ولابد ان نركز على جموعية الصوم والصلاة والتوبة لان فيها عمق شركتنا فى جسد المسيح.

إنها رحلة وأول خطوة فيها الحزن المضىء حزن الصوم الكبير البهى الذى به ننظر النهاية من بعيد ، ونتطلع الى فرح القيامة والى الدخول فى مجد الملكوت ، وهذه هى الرؤية وهذا هو التذوق المسبق لفرح القيامة الذى يجعل حزن الصوم لامعاً ومضيئاً ويجعل الجهد المبذول فى الصوم ربيعاً روحياً.. *SPIRITUAL SPRING* ، فالصوم هو بالحقيقة رحلة ، يلازمها الحزن اللامع والمشرق للصوم ، كهدف بعيد للغاية الأخيرة ، انه فرح القيامة والدخول الى بهاء الأبدية والتذوق المسبق للفصح.

وكل التوجيهات الكَنَسيّة الابوية تبدو ظاهرة واضحة فى طقس الكنيسة فى فترة الصوم سواء فى الألحان او فى الطلبات او فى القراءات الإنجيلية او فى نبوات العهد القديم او فى القدوة التى يقدمها الأباء والرعاة كما رسم لنا المجمع المقدس المسكونى.

وقد جعلت امنا البيعة الأرثوذكسية طقساً للصوم الكبير تقدم فيه روحها من خلال الالحان والمردات [مرد الانجيل «چى بنيوت» + قسمة الصوم الكبير + التوزيع بالطريقة الصيامى وكذلك قراءات النبوات فى رفع بخور باكر بعد «إفنوتى نای نان» ثم صلاة الطلبة مع المطانيات..] وكذلك نجد ان الكنيسة لا تصلى العشيات فى ايام الصوم لان القداس ينتهى فى الغروب ، ووجود الذبيحة المقدسة الى وقت المساء على المذبح هو المرموز اليه الذى يبطل معه رفع بخور عشية وهو

الرمز للذبيحة المسائية [ما عدا عشية السبت] ، ومن الإشارات الليتورچية الجميلة التى تدلل على روح الحزن المضىء والعبادة الهادئة الخاشعة ان الكنيسة لا تستخدم الدف فى ايام الصوم.. لان الصوم الجماعى يوحد ويؤلف القلوب والافكار والالسنة فى العبادات خلال هذا الربيع الروحى ، ليكون بحق صوم الإستنارة والضياء والتربية الروحية وزمن التوبة والمصالحة والرجوع ، الذى فيه تأخذنا الكنيسة وتُعيد امامنا الهدف من المعمودية : ان نرى ملكوت الله ونتذوقه ، وظهور هذا الملكوت ودخولنا فيه بالتوبة والرجوع ، فى صلة حب وشركة صادقة وحارة مع الله ، نبعاً روحياً وفجراً لامعاً سرياً يشرق فى الأفق ، فلا تحرمنا من شبعك يا محب البشر الصالح.

عبادة الصوم

THE LENTEN WORSHIP

• الحزن المضيء *BRIGHT SADNESS*

من السمات المميزة للروحانية الأرثوذكسية والتى ترتبط بالصوم ؛ الحزن المضيء تلك الحالة من تغيير العقل والقلب والسلوك والنفس ، وتجديد الانسان بكليته وصيرورته فى جو ومناخ جديد ومتجدد ، ويوصينا العظيم الأنبا أنطونيوس "ليست الفضائل خارجكم بل هى لكم وفيكم ولا تتطلب منكم سوى الإرادة لان ملكوت الله داخلكم".

ان غاية الصوم الاربعينى ليست تتميم فروض شكلية إجبارية ، ولكن الغرض ان نُلين قلوبنا حتى تنفتح على حقائق الروح فنترك إرادتنا الحسية ونلتزم الهدوء بكل نوع ، وذلك الجوع والعطش السرى يكون هدفه الإتحاد بالله وإختبار العطش والجوع للشركة معه ونوال غفران الخطايا وهو ما نعبر عنه فى إبصالية الصوم ونقول [تعالوا لنصوم أصواماً كاملة لان بالصلاة والصوم يغفرلنا الرب] ، وهذا المناخ الاربعينى والجو الصيامى وتلك الحالة الفريدة من الفكر والعقل لا يمكن بلوغها إلا بالعبادة من خلال تلك الأطعمة الروحية المتنوعة التى ناكلها خلال هذا الموسم الليتورجى..

وإذا ما أعتُبرَت العبادة مجرد طقوس او مراسيم غير مفهومة وترتيبات شكلية لابد من تتميمها وتكميلها ، لن نجنى ثمارها ، ولكن اذا ما فهمناها فى جملتها وروحانيتها فانها تكشف وتعلن روح الصوم وبركاته وتجعلنا نرى ونشعر ونختبر ذلك الحزن المضيء الذى هو موهبة الصوم ورسالته الحقيقية ، التى هى التفتيش ومحاسبة النفس بلوغاً الى السلوك بحسب الدعوة التى دعينا اليها .

من خلال الحزن العميق الذى يتخلل الخدمة كلها ، فالخدمة اطول من المعتادة واكثر رتابة [أى على وتيرة ونسق واحد] حيث لا حركة ولا ضجيج ، فالنبوات والطلبات والمطانيات والألحان تتم فى تناغم وتناوب ، والجموع متوسلة منسكبة [اكلينومين تاغوناطو].. ونسجد اثنتى عشر سجدة وعلى فترة يطول مداها نقف بخشوع لنستمتع بغنى الطقس الصيامى ذى الوتيرة الواحدة فى حزن تام... الذى لا هدف منه إلا عيش الحزن المضئ عندما نردد [أخطأت أخطأت ياربى يسوع اغفر لى لانه ليس عبد بلا خطية ولا سيد بلا غفران] بلحنها المؤثر الفعال الذى يخترق الآذان والقلوب والنفوس ليهزها ويحركها فى طريق التوبة والفضيلة [ونحن أيضاً فلنصم بطهارة وبر] من اجل صوم روحانى مبارك...

وهذه التوبة والجهادات بالجوع والعطش توصلنا الى نوال رؤية القيامة التى هى فعل الحزن المضئ ، وعندئذ نتلامس مع عالم آخر ، عالم الفردوس والملكوت الذى فى داخلنا .

وتلك الرتابة والإطالة فى العبادة تجعلنا نتيقن أنه أمر نحتاج إليه إذا كانت رغبتنا فعلاً متمركزة فى إختبار السر ومعايشة ذلك "الفعل" غير الملحوظ فينا ، وتأخذنا العبادة الليتورجية لكى نختبر ونعيش الفعل فتأتى لنا بالنماذج الحية التى عاشت فعل الصوم فأخذت البركات ، فنقول فى إبصالية الصوم [ايليا أغلق السماء بالصلاة والصوم فلم تمطر ، ذبيحة ابراهيم قبلها السيد الاله بالصلاة والصوم وجعله رئيس آباء ، ويعقوب من اجل نواياه الصادقة البريئة بالصوم والصلاة نال بركة أبيه ، ولوط البار استحق أن يأتى إليه الملاكان وبالصلاة والصوم خلص من الشدة ، وموسى أخذ اللوحين بالصلاة والصوم ، ونوح أشار إليه الله بالفلك وبالصوم والصلاة خلص من الطوفان] وهكذا تستحضر الكنيسة فى عبادتها الصومية الثلاثة فتية ، ويونان النبى ، وصموئيل ماسح الملوك ، ويوسف العفيف رئيس مصر ، والإثنى عشر تلميذ ، وداود ذا القيثارة وصاحب النبوة وكل الأنفس التى أرضت الرب بأعمال الصوم والصلاة تكون معنا فنعيش "شركة السمائيين والقديسين" فى العبادة الليتورجية ، لنتعلم منهم ونسلك كما سلكوا حاذين حذوهم فنفوز بملكوت السموات ، فالخلاص والتوبة ليسا احتقاراً

للجسد او اهمالاً له ، بل اعادة الجسد الى نوره الحقيقى كتعبير عن الروح وحياتها ، كهيكل للنفس البشرية التى لا تثمن والنسك المسيحى هو حرب من أجل الجسد وليس ضده ، لهذا السبب يتوب الإنسان بكليته ، بالصلاة والعبادة والسجود . .

ورويداً رويداً تنفتح مداركنا ونفهم أو بالحرى نشعر ان ذاك الحزن هو بالحقيقة حزن مضئ ، وان تحولاً سرياً على وشك الحدوث فى داخلنا ، ويبدو الأمر كما لو كنا قد بلغنا مكاناً اختفت فيه ضوضاء الحياة وضجيجها وجلبة الشوارع التى غالباً ما تملاء أيامنا ولياليا ، نبلغ مكاناً لا تصير لهذه الامور أية سيادة علينا ، وهنا تكمن اهمية الصوم لنا عندما نبلغ حالة ذهنية تملأ كياننا كله ، حالة من الترقب والتوتر الحلو تصبح طبيعة ثانية ، عندما يختفى القلق والتوتر العالمى بطريقة ما والى مكان ما ، فنبدأ نشعر بأنفسنا أحراراً واكثر خفة وسعادة .

وهو ما نحس به ونردده فى مرد الإنجيل أثناء الصوم الاربعينى [سلام الله الذى يفوق كل عقل يحل فى قلوبكم بالمسيح يسوع ربنا].

ليست تلك السعادة السطحية المزعجة ذات الجلبة التى تأتى وتنصرف مرات كثيرة ، تلك السعادة الوقتية الزائلة الهشة سريعة الزوال ، بعكس هذه السعادة العميقة التى مصدرها النفس البشرية التى تلامست مع الملكوت متوقعة إنتظار ربنا يسوع المسيح [الباروسيا] ، ذلك العالم المصنوع من النور والسلام والبهجة والثقة التى لا يعبر عنها وعجيبة حينئذ نفهم لماذا كانت الخدمات الليتورچية طويلة ورتيبة ، ان طولها ورتابتها إنما بهدف عميق الا وهو دخولنا الى السكون والإعتكاف الباطنى ، لأنه من المستحيل ان نعبر حالتنا الراهنة العادية ، حالة الفكر الذى صاغته الإنشغالات والإندفاع والضوضاء وطياشة الفكر اى تلك الحالة الأخرى الجديدة ، دون أن نستعيد فى ذواتنا معياراً جديداً عن الإستقرار الداخلى، نستمده من عباداتنا ، عندما نقر ونشهد فى أسبسمس واطس الصوم المقدس [أنا أعرف انك صالح ، رؤوف ورحيم ، أذكرنى برحمتك الى الأبد أطلب إليك ياربى يسوع لا تبكتنى بغضبك ولا برجزك تؤدب جهالتى] فتكون عبادتنا

وهذا ما أكده القديس العظيم الأنبا أنطونيوس "إن الروح القدس يجعل عمل التوبة حلواً وشيقاً ويأخذنا الى التحول الكامل نحو الله ويصير لنا ملجأ وقوة ويطفئ عنا كل الشرور المتحركة" فكل تغير انما يبدأ من الداخل من الحياة الباطنية لان كل مجد ابنه الملك من داخل .

والآباء الروحانيون الذين صاغوا المنهج الكنسى الليتورچى فى الصوم والذين شكلوا أيضاً البنية العامة للعبادات فى الصوم الكبير ، من قراءات والحان ومدائح وميامر ونبوات وطقس صيامى ومطانيات وطلبات وقداسات متأخرة ، أضفوا على ليتورچية الصوم جمالاً خاصاً يليق به ، هؤلاء جميعاً كانوا يفهمون ضعف النفس البشرية ، فجعلونا نقول فى الصوم [بصوتى صرخت اليك يا إلهى فمن أجل الصوم أعطنى خلاصاً . أعن ضعفى أيها المخلص . ومن أجل الصوم اغسل أقذارنا] ، ان هؤلاء ، الآباء الذين وضعوا العبادات والألحان الليتورچية كانوا يعرفون حقاً فن التوبة ، وكل عام خلال الصوم الأربعينى يجعلون هذا الفن فى متناول كل فرد له اذنان للسمع وعينان للنظر ، عندما نطلب ونلح ونترجى ونئن قائلين [أخطأت يا يسوع ربى أخطأت يا يسوع إلهى يا ملكى لا تحسب على الخطايا التى صنعتها] ، وكل العبادات أثناء الصوم تحض على التوبة وترسم الطريق لها ، لنتطلع الى فرح القيامة والدخول فى مجد الملكوت ، هذا هو فكر الكنيسة ، لأن جوهر الصوم أن نتذوق فرح القيامة والنصرة ، لذلك وجب علينا ان نعيش حياة الكنيسة ونتذوق العبادات والألحان بوزنها الصيامى لنستنير ونبلغ بإيماننا درجة الكمال ، عندئذ نفهم ما هو تعليم كنيستنا الصحيح .

واللاهوت الأرثوذكسى القبطى يؤكد على اقتران الجهاد بالفرح ، فرح الملكوت (الاستعداد) ، فرح الغلبة (التجربة) ، فرح التوبة (الابن الضال) ، فرح الكرازة والخدمة (السامرية) ، فرح الغفران والشفاء (المفلوج) ، فرح الاستنارة ونذر المعمودية (التناصير) ، فرح ملكوت المسيح الآتى (الشعانين) ، ومن خلال الحزن المضئ يشعر كل أرثوذكسى بالعبادة التى تحث على التوبة وحمل الصليب والجهاد والسلوك بلا عثرة ورفض المشورة الشريرة ، عندما يدخل الى البيعة فى أثناء الصوم الكبير ، يدرك بسرعة ما يدور ، حتى ولو كانت معرفته محدودة ،

مصدر سلامنا وسكون انفسنا وراحتها.

ان أولئك الذين يعتقدون ان العبادة الليتورچية هى مجرد "فروض" ، وأولئك الذين يلحون فى إختصار عدد مرات الذهاب الى الكنيسة وإختصار زمن الصلوات وقتها ، لا يمكنهم أبداً أن يستوعبوا طبيعة ودسم وغنى وعمق وضياء العبادة التى تأخذنا الى سر الحضور الالهى *God's Presence* عندما نقول فى ارباع ناقوس الصوم [ربنا يسوع المسيح صام عنا اربعين يوماً واربعين ليلة حتى خلصنا من خطايانا ، ابانا الذى فى السموات ليتقدس إسمك ليأت ملكوتك لأن لك المجد الى الأبد آمين].

وهنا نلمس حضور المسيح فى وسطنا ، وأنه معنا ونحن فيه خلال صومه الأربعينى ، وتستهدف العبادة الكنسية من ذلك ان تأخذنا فى بطء وتهيئة وهدوء بالغ رويداً رويداً للتمتع بالحضور الإلهى بشكل طبيعى وسوى بالرغم من طبيعتنا الساقطة ، وعندما نجد أنفسنا فى حضرته الإلهية أثناء العبادة تنتهز الكنيسة هذة الفرصة لتتضرع إليه فى مرد الإبركسيس وتقول له [أنكرني يارب ، أذكرني يا إلهى ، أنكرنى يا ملكى ، إذا جئت فى ملكوتك].

وهنا نختبر ذلك التحرر السرى اكثر خفة وسلاماً ، ويصبح لرتابة وحزن الخدمة التعبدية مغزى جديد ، حيث تتغير هيئتنا *Transfigured* فيشرق فينا جمال جوانى يشبه الشمس البكرة التى وهى بعد مستترة فى قلب الوادى ، تبدأ فى إنارة قمة الجبل ، هذا النور وذاك الفرح السرى يبزغان من أعماق التسبيح والتهليل المتعمق.. وهو مانقوله فى تسبحة ذكصولوجية الصوم [أسبح مراحمك ياربى الى الابد ومن جيل الى جيل بفمى اخبر بحقك] ، فما قد بدا للعيان رتيباً يستعلن الآن سلاماً ، وما كان يبدو طويلاً وكأنه حزن قد اختبرته النفس الآن فى أولى حركاتها فاستكشفت عمقه المفقود وهذا ما تصرخ به فى تسابيح الصوم فى كل صباح أثناء دورة الحمل [فأدخل الى مذبح الله تجاه وجه الله الذى يفرح شبابى أعترف لك بالقيثارة يا الله إلهى اذكر يا رب داود وكل دعته الليلويا].

لقد أرتبط الصوم فى العهد القديم بفكرة الحزن والنحيب ، ولكن حزننا هذا حزن مضئ حزن برجاء وحنين للفردوس ، منطلق ومرتقب للقيامة.

الحزن المضئ حزن منقائ ، حزن ما ضاع من عمرى ، تعبر عنه الليتورچيا فى قطع توزيع ايام الصوم [أطلب إليك يا ربى يسوع لا تبكتنى بغضبك ولا برجزك تؤدب جهالتى ، يا محب البشر سيدى يسوع أسألك لا تطرحنى على يسارك مع الجداء الخطاه ولا تقل لى ايضاً انى ماأعرفك اذهب عنى أيها المعد للنار الأبدية.. لأنى أعلم بالحقيقة انى خاطئ وأعمالى الرديئة كلها ظاهرة أمامك ، اعطنى يارب توبة لكى أتوب قبل أن يسد الموت فمى فى ابواب الجحيم وأعطنى جواباً على كل ما فعلته ، القاضى العادل يسوع الذى يدينني رؤف هو مخلصى يتراءف على شعبه كصالح ومحب للبشر ، إرحمنا كعظيم رحمتك].

وهنا نتلاقى مع ضياء وجود الله فى حياتنا بغفرانه وبهجته ، ذاك الإشتياق ، الذى تتم إستعادته ، وسلام ذلك البيت الذى كان مفقوداً ، قد صار شبعاً وحزناً مضيئاً وغنى ورحمة ومصالحة وتقديس من خلال مناخ عبادة الصوم.. التى فيها نعيش قانون توبة جماعى ، كما رسمته ليتورجيا الكنيسة التى تشتمل على التسبيح المقترن بالبهجة والفرح الروحى والإنسكاب ، والقطع التى يغلب عليها الطابع التفسيرى والتعليمى لتحث العابدين على النسك والصلوات والمصالحة والمحبة والإتضاع والطهارة والإنسحاق والرحمة [تمسكوا بالصوم والصلاة معاً وقدموها بالطهارة التى للقديسين وأحبوا النشاط والبتولية] (ابصالية آدام على تذاكية الأحد)... وكلها معانى ليتورچية تلف الكنيسة بروح الجهاد القانونى المستقيم الذى يسرى فى كنيستنا التى لا خلاص لأحد خارجها.

صلاة الكنيسة هى دائماً كتابية أى انها تعتمد على لغة رنمس رصور ورموز الكتاب المقدس الذى كما يحوى الإعلان الإلهى للإنسان يعبر ايضاً عن إستجابة الإنسان الموحى إليه بهذا الإعلان الإلهى ، ومن ثم تُصاغ صلواته وتسبحته وتمجيده ، فقد إنقضت آلاف السنين على كتابة المزامير الا ان الإنسان عندما يحتاج الى التعبير عن التوبة ويطلب مراحم الله اللامحدودة لا يجد تعبيراً دقيقاً ووحيداً إلا فى مزمور التوبة [ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك] الذى نصليه فى كل خدمات السواعى ، وكل حالة يمكن تصورها عن الإنسان امام الله والعالم والآخرين من الفرح المهيمن بكليته ، لحضور الله فى مواجهة قنوط الإنسان المتغرب عن الله والبعيد والعاجز عن الوصول اليه بسبب تلك الهوة السحيقة ، هوة الخطية والغربة عن الله ، كل ذلك يجد تعبيره الكامل فى تلك البشارة المفرحة "كيريجما".. الكتاب المقدس الذى هو ايقونة الله ورسالته الى خليقته ، التى تركها المسيح وديعة للكنيسة لكى يكون كلام الله المسموع فى العبادة والمكتوب هو حياة لنفوسنا... فنتقبل الكلمة ونطيعها وهو مايسميه الآباء بالسينرجى تقابل الإرادة الانسانية مع عمل النعمة الإلهية كما سمع العظيم انطونيوس الرصية وعاشها عندما خرج من الكنيسة...

والكتاب المقدس يشكل دائماً غذاء الكنيسة اليومى واداتها فى العبادة الليتورجية ، لأننا لا نعرف الكتاب المقدس إلا معاشاً بالقديسين مشروحاً بالآباء ، ومالحرى ان نسمع لانجيل الكنيسة فى العبادة ، فهى صوت الانجيل الحسى بحسب تعبير القديس باسيليوس الكبير.

وأثناء الصوم الأربعينى المقدس يعطى البعد الكتابى فى العبادة الليتورجية تأكيد متزايد ، ويستطيع المرء أن يقول ان الأربعين يوماً هى بمثابة عودة الكنيسة الى حالة العهد القديم الروحية ، إلى زمان ما قبل المسيح ، زمن التوبة والتوقعات المتجهه نحو تمامها فى المسيح وكأنها فترة إنتظار للمسيا المنتظر مشتهى كل الأجيال ، زمن تاريخ الخلاص ، السائر صوب كمال تحقيقه فى المسيح ، وهذه العودة ضرورية لأنه حتى ونحن ننتمى الى زمن ما بعد المسيح ونعرفه وقد "إعتمدنا فيه" إلا اننا دائماً ما نسقط بعيداً عن الحياة الجديدة التى تلناها منه ، وهذا يعنى اننا نتقهقر مرة اخرى الى [الزمن العتيق] والكنيسة من جهة قد بلغت فعلاً "بر الأمان" فى بيتها لأنها هى "محبة الله الآب ونعمة الإبن الوحيد وشركة وموهبة وعطية الروح القدس" ، ومع ذلك فمن جهة اخرى هى فى طريقها لا تزال تصبو طويلاً صوب تحقيق كل الاشياء فى الله [لأن منه وبه وله كل الأشياء قد خلقت] وعودة المسيح وكمال نهاية الازمنة عند مجيئه الثانى الآتى من السموات المخوف المملؤ مجداً .

الصوم الاربعينى المقدس هو الزمان الذى يتحقق فيه فعلاً ذلك الجانب الآخر والمظهر الثانى للكنيسة لحياتها كتوقع ومسيرة ، اعنى حياتها التى تقضيها فى ترقب وترحال ، وهنا يستمد العهد القديم عمق مغزاه وملء معناه ليس ككتاب يحوى مجرد نبوات قد تحققت انما هو نسيج إنسان وخليقة كاملة فى طريقها نحو ملكوت الله ، والتزمت كنيستنا بقراءة سفر أشعياء النبى كل يوم من أيام الصوم الكبير ، ونستطيع أن نقول أن نبوة أشعياء هى رحلة مع آحاد الصوم وكأن أشعياء الإنجيلى كان يرسم للكنيسة بروح النبوة برنامج الصوم الأربعينى.

ونجد أن المزامير أيضاً تشغل مكانا فريداً ومركزياً بالحق فى العبادة الليتورجية ، فالكنيسة ترى فيها أفضل وأنسب وأكمل تعبير لصلاة الإنسان التائب المنسحق المسبح بل أيضا الأيقونة الكلامية للمسيح والكنيسة (ديالوج) ، وتأخذنا القراءات الكنسية الإنجيلية للعبادة الليتورجية فى رحلة تقودنا إلى قدس الأقداس فى النهاية "البصخة".

ومن هنا نجد أن القراءات الإنجيلية الليتورجية قد أصبحت الأيقونة الفعلية للمسيح والكنيسة ، فهي إستعلان داخل الإستعلان الإلهى ، ويقول الآباء فى كتاباتهم "المسيح فقط وكنيسته يصليان ويبكيان ويتناجيان فى هذا الكتاب"... ومنذ البدء صاغت المزامير أساس صلاة الكنيسة ، فكانت هى بمثابة "لغتها الطبيعية" ، إذ شكلت المادة الأساسية والبنية الثابتة والدائمة لصلوات السواعى فى الأجبية ،

وأيضا صيغت منها التسبحة والبنية الثابتة للذكصولوجيات والإبصاليات ، ولكل الأعياد والتذكارات على مدار السنة الليتورجية، وبالأخص في العبادة الليتورجية أثناء دورة الصوم.

– والتزمت الكنيسة بضرورة قراءة سفر أشعياء النبي أثناء الصوم في الأيام التى تُقرأ فيها النبوات، لكى تكشف من جديد ذلك السر العظيم سر الخلاص *MYSTERY OF SALVATION* من خلال آلام وتضحيات المسيح مخلصنا ؛ حتى إننا نجدها فى الأسبوع الأول من الصوم تبدأ فى قراءة الإصحاح الأول من السفر، ويأتي منتصف السفر عند (أش ٤٠) حسب رأى المفسرين مع "أحد السامرية" ويكون سفر أشعياء النبى رحلة مع آحاد الصوم الكبير وكأن أشعياء كان يرسم للكنيسة بالروح برنامج الصوم الكبير، لأنه سفر التوبة والرجوع الى الله وهذه هى غاية قصد الصوم وهدفه..

وهذه القراءات الإنجيلية لا نزال نصلى بها كخدمات صيامية ليتورچية تعليمية سبق استخدامها للتحضير للمعمودية (اعداد الموعوظين) والتى تتضمن طريق الخلاص الذى يكتمل بالمسيح ويكتمل فيه.

وقد خصصت كنيستنا قطمارس للصوم الأربعينى الكبير ضم قراءات الإنجيل كلها وفيه تتجمع الوصايا الروحية ، وتقدم من اجل حياتنا وبنياننا حتى تتحول فينا الى ثمار النعمة والخلاص ، واناجيل آحاد الصوم هى تجمع غنى وعميق من اجل تطهيرنا وإنارتنا وتهيئتنا فى زمن تربية روحية وإستنارة ، للبلوغ الى ذوق فرح قيامة المخلص...

فنجد أن الآحاد حسب التقويم الليتورچى القبطى مرتبة بإلهام الروح القدس وتدبير الآباء العظام ، الأحد الأول أحد الإستعداد ثم أحد التجربة ثم أحد الإبن الشاطر ثم أحد السامرية ثم أحد المخلع ثم أحد المولود أعمى ثم أحد الشعانين الى ان نصل لذروة السنة الليتورچية القبطية فى عيد الأعياد كلها وتاجها حيث قيامة السيد الرب.

فليس الكتاب المقدس مجموعة مناظرات عقيدية وقصص وحكايات تُروى على سبيل المعرفة والتسلية العقلية ، لكنه صوت الله الحى يتحدث إلينا المرة تلو المرة ليأخذنا دائماً متعمقاً بنا الى العمق الذى لا يُستقصى ، حيث غنى حكمته ومحبته ، وليست هناك مأساة أكثر من تلك التى نراها فى الإهمال الذى يناله الكتاب المقدس ، والأسوأ من ذلك هو لامبالتنا نحن تجاهه ، فما كان بالنسبة للآباء فرحاً وشبعاً لا ينتهى ولذة لا تبطُل ، ونمواً روحانياً وعقلياً ، قد صار اليوم بالنسبة للعديد منا مجرد نص عتيق قد عفا عليه الزمن وصار بلا معنى فى حياتنا ، وكل املنا اننا كما إستعدنا روح الصوم ومغزاه أيضاً ، نستعيد قيمة الكتاب المقدس كغذاء روحى حقيقى وشركة مع الله كما جعلته امنا البيعة مصدراً وركيزة جوهرية لها مكانتها الفريدة فى العبادات.. لذلك نجدها تضع القراءات الدسمة والنبوات من العهد القديم خلال ليتورچيا الصوم الكبير وكأم تعلمت بحذق روحى ومهارة ملهمة كيف تعد غذاء أبنائها بنفسها ، تمد يدها لأولادها الجائعين الجالسين بإنصات امام المنجلية يتغذون بفرح وشغف من طعام الروح..

وإذا إلتفتنا الى العبادات بإنتباه نجدها تتضمن معرفة عميقة للكتاب المقدس وقدرة فائقة على التأمل فيما يعنيه لنا فى حياتنا ، فنتغذى من ينابيع الكتاب المقدس خلال القراءات الكَنَسية فى الصوم الكبير الذى هو بالنسبة للآباء والكنيسة نبع الإيمان.

وتتجاوب الكنيسة فى الصوم مع اساسيات منهجها الليتورچى فتقام القداسات اليومية ، ويبحث الكهنة عن الأسر المتخاصمة ليصالحهم ، وعن زوجة غاضبة يسعون ورائها ليردوها الى رجلها وأطفالها ، وتقام النهضات الروحية لإنهاض الغافلين وإيقاظ وعيهم بالتوبة من اجل يقظة روحية تختزن لبقية ايام السنة ، فنعيش ايماننا ودعوتنا بجدية ، ونكتشف مجدداً نذر معموديتنا ومسحتنا فى معناها وبركتها.

وتدفعنا الكنيسة فى الصوم لإعادة النظر فى الحياة والسلوك الشخصى والعائلى مع قطع الأهواء والشهوات ورفض المشورة الشريرة ، وضبط النفس

والتعفف ، والنمو فى أعمال الفضيلة والخدمات الإجتماعية والرحمة بالمساكين والفقراء ، والسهر على كلمة الله ، والمواظبة على صلوات المخدع بندم وتضرع وقرع صدر ، وإقامة المذبح العائلى الأسرى ، وترك الخطايا المحببة الى غير رجعة، بل فى دفء الروح نتقدم لعيش القداسة بمسرة لذيذة.. فلا تتأخر فى أخذ نصيبك من هذا الربيع الروحى لتتحول حياتك من حياة حسب الجسد الى حياة حسب الروح ، حتى اذا ما أقبل عيد القيامة يكون قيامة لحياتك.

لا تيأس من الجهاد لانه هكذا صارت الخاطئة التى مسحت رجل المخلص بشعر رأسها مكرمة أفضل من العذارى ، إنها دموع التوبة التى سكبتها حنة النبية عندما كانت شفتاها تتحركان وصوتها لم يُسمع ، لقد أصبحت راحاب التى كانت زانية قديسة ، واللص اليمين القاتل صار أول مواطنى الفردوس ، هذه هى أعمال الله وإرادته العجيبة ! وهكذا صار العشار متى إنجيلياً والمجدف بولس رسولاً رأسيراً للحب الإلهى.. والساقط موسى صار القوى الأنبا موسى القس الأسود ، فلا تيأس من خلاصك ، فالذى كان بالنسبة لكثير من الأرثوذكسيين طقس وترتيب قديم بلا معنى لحياتهم ، نعشيه الآن على رجاء أنه عندما نكتشف معنى الصوم وروحه ، نكتشف ايضاً الكتاب المقدس والعبادة والتقليد والتاريخ الكنسى كغذاء روحى حقيقى وكشركة مع الله.

الصوم فى حياتنا

LENT IN OUR LIFE

• آخذين الامر بجدية ..... *TAKING IT SERIOUSLY*

طالما نتحدث عن تعليم الكنيسة بخصوص الصوم الاربعينى ، الذى تسلمناه اساساً عن طريق الليتورجية ، وجب علينا ان نطرح تلك الأسئلة : كيف نطبق هذا التعليم في حياتنا ؟ وكيف يصير الصوم حقيقة فى وجودنا وواقعنا [صوماً حقيقياً] ؟ وخصوصاً ان هذه الحياة الليتورجية عندما صيغت ، وعندما تأسست هذه الخدمات والألحان والترتيبات الطقسية والقوانين الكنسية كانت فى عالم يختلف عن الذى نعيش فيه الآن ، فقد إختلف نمط الحياة [الحضر – الإزدحام – تصارع المعتقدات والطوائف] ومن ثم يصبح سؤالنا واقعياً بدرجة أكثر ، كيف نستطيع فى حياتنا اليومية ان نحافظ على تراث الصوم الكبير المقدس ، وميراث روحانية الكنيسة؟

فمن الواضح أن كثير من المؤمنين صارت مشاركتهم فى عبادة الصوم شيء مهملاً ، فلم تعد روحاً فاعلة عاملة فينا ، ولم نعد نشعر بقوتها وثقلها فى حياتنا ، وصار فهمنا للصوم سلبياً حيث إعتبرناه موسم تحدث فيه تغييرات معينة مثل الإنقطاع عن أكل اللحوم وتحريم المتع العالمية وإستبدال طعام بطعام ، ويصير السؤال "ما الذى نقدمه فى الصوم ؟" ام اننا بلغة إيجابية نرى الصوم عبارة عن الوقت الذى نمارس فيه توبة حقيقية وشركة فعالة حية ؟ [لا مجرد أحد الزعف ، أحد السامرية ، جمعة ختام الصوم] فيكون الصوم مجرد ترتيبات جوفاء لا ثمر فيها ، لقد ركزت الكنيسة فى قطع عشية الصوم ان نترنم بالفضائل التى ينبغى ان نسعى لبلوغها فنقول [الصوم والصلاة يخزيان الشيطان والزهد يهزم طغيانه والمحبة اساس البنيان والتوضع يقوى اركانه وان نطلب ملكوت الله ، ونعطى صدقة والى آخره].

ويغيب عنا احياناً اساس الصوم كممارسة جموعية تستهدف التربة الجماعية والشركة الجماعية فى التعليم والأسرار والأغابى.. فى ممارسات يغلب عليها الطابع الروحى لا الطابع الشكلى ، حتى لا يفقد الصوم تأثيره على حياتنا ، كطريق للتوبة والتجديد ، وهو ما قصدته الكنيسة فى تعليمها الليتورچى الروحى ، ولابد ان يتماشى المفهوم العام عن الصوم عند الشعب مع روح العبادة الصيامية بدون شكليات لنعيش الروحيات ، انه بالرغم من اعتيادنا الصوم إلا إننا أضعنا الكثير من تأثيره فى حياتنا وجديتها ، فهل آن الآوان ان نعيد إكتشاف الصوم وأن نجعله من جديد قوة روحية فى واقع وجودنا وكياننا كل يوم ؟ بالحب والتوبة والمصالحة والنسك والحشمة والتعفف والصلاح واعمال الرحمة والخشوع والسجود وقرع الصدر ورفض المشورة الشريرة والجهاد القانونى والتداريب الروحية.

لقد جعلت الكنيسة فى تقليدها الليتورچى القبطى فى الصوم تعاليم توصينا بها لنعيشها...

واظبوا على الكنائس واتلو القراءة ودقوا صدوركم فى الصلوات.

التوبة مرهم لكل جراح والمحبة تستر كل عيوب.

حبوا الأعداء وسامحوا إخوتكم وباركوا على من يشتمكم ولا تقاوموا من يطردكم.

إطلبوا ملكوت الله وبره والباقى كله يزاد لكم ويتم.

إعطوا صدقة للمعوزين ولا تسلكوا فى الأمور بوجهين..

هذه هى التعاليم الليتورچية التى أرادت الكنيسة ان توجهها لنا فى فترة الصوم الأربعينى لنتحلى ونتجمل بها ، وهى تعتمد اساساً على جديتنا فى تناول فعل الصوم ، فمهما كانت الصعاب التى نحياها اليوم فى ظل مجتمعات أكثر تعقيداً

وتشابكاً ، فما من مشكلة يمكن ان تشكل عقبة حقيقية تجعل الصوم مستحيلاً [الأعذار] ، ان اصل الفقدان المستمر لمغزى الصوم وتأثيره الفعلى فى حياتنا يكمن فى امور اكثر عمقاً من هذا ، انه يكمن فى وعينا او لا وعينا ، وفى حصر الايمان واختزاله فيصبح مجرد ممارسات ورموز وامور شكلية سطحية تفقده جديته وفاعليته وبركاته التى تؤثر فى حياتنا ، تلك التى تجعل للايمان الحى الإختبارى متطلبات وضروريات ينبغى ان نلتزم بها وجاهد من اجلها.. (قانون الصوم)

وهذا الإنحصار الشكلى فى الصوم هو الإختزال الذى أحدثناه عموماً فى حياتنا الأرثوذكسية ، فكان بمثابة عدوى وعطب أصابنا من الطوائف الأخرى التى راحت تُبدل وتُغير وتختصر فى العبادات والطقوس بحجة جعلها أكثر موائمة لظروف الانسان العصرى... فصارهذا الإنحصار والشكلية إنحرافاً للتسليم [التقليد المسيحى *CHRISTIAN TRADITION*] بل وخيانة للايمان المسيحى نفسه وتصغير له. وهو ما تحرص كنيستنا على التمسك به فى صلواتها واصوامها وتدابيرها الروحية التى ألفها الروح القدس وإختبرها القديسون .

ان كل من تذوق الصلوات وتنعم ببركاتها فى اعماقه ، وعاش اللحن القبطى المؤثر يستطيع ان يعبر ويختبر مشاعر التوبة الصادقة والندم الحقيقى والإستنارة السرية الحادثة فى الداخل فيكون صومه طاهراً بخشوع صوما ليس معناه الجوع لكنه توبة ورجوع ، صوماً نستعيد فيه جدة الحياة ومعناها الإلهى وعمقها المقدس.

وفى الواقع إنه لفخر للأرثوذكسية إذ هى تحفظ تقليدها حارسة له ولا تساوم مع قياسات الدنيا ، إن عظمة ومجد الأرثوذكسية فى أنها لا تساق وراء محاولات التعديل حتى تجعل المسيحية سهلة ، فالأرثوذكسية هى إستقامة الحياة والعقيدة أيضاً ، والأرثوبراكسية هى المسيحية العملية ، ان مجد الأرثوذكسية لا مجدنا نحن الأرثوذكس يكمن فى ثباتها على التسليم الآبائى ، فلا ينبغى ان نعيد صياغة ليتورچياتنا ، حاشا بل نفتخر ونعتز بصلوات آبائنا الذين تلذذوا بترديدها الساعات

الطوال دون ملل ولا كلل متذكرين إخوتنا الرهبان فى القرون السالفة والحالية ، حينئذٍ نكتشف عذوبة الإختبار المسيحى الكنسى ونتعلم كيف نعيش مستنيرين فى المسيح ربنا.

أما بخصوص الصوم لابد ان نطرح على انفسنا الأسئلة الاساسية ، لماذا نصوم ؟ وما هو الصوم ؟ حتى لا نكتفى بالرموز.

قد يقنع البعض برمزية الصوم فيزعم ان المسيح رب المجد صام عنا ، إذن فقد قام هو بالمهمة عنا ويزعم البعض اننا لسنا المسيح أو لسنا مسحاء وأعضاء جسده السرى ، من لحمه ومن عظامه ، وإن كان هو صام عنا ولأجلنا ، فكم نكون نحن فى أمس الإحتياج أن نصوم لنتشبه به.. وقد إنطبعت روح الآباء على صلوات الكنيسة فلا تزال البيعة القبطية تدعونا أثناء الصوم ان نثبت أنظارنا على المسيح ربنا فنقول :-

[تعالوا وإنظروا مخلصنا محب البشر الصالح صنع فعل الصوم مع عظيم تواضعه فوق الجبال العالية بإنفراد جسدى ، علمنا المسير لكى نسير مثله ، وأبطل قوة العدو وحيله وحججه ، والمجرب إفتضح أمره]

(نوكصولجية الصوم الكبير)

فالصوم جهاد وإختبار وتذوق نترجى فيه ونتوب (ميطانيا) ونتطهر بالإعتراف ونختبر فيه الكلمة (كيريجما) ونخدم فيه (دياكونياً) ونشهد فيه للمسيح (مارتيريا) حتى نتدرب على الأبدية (الباروسيا) وبعض المجلات الكَنَسية تظهر طرق إعداد أطعمة شهية ، وبدلاً من ان تهتم بغذاء الروح راحت تنشغل بشهوة البطن وبألوان وروائح... وهى كلها أشياء لا تربطنا بالله فى حياة جديدة فيه ، إنما ما يربطنا به هو ان نقتفى آثار وعادات وحياة آبائنا القديسين ، الذين تميزت ممارستهم بجدية العبادة ، فلم تكن عبادتهم مجرد رموز شكلية للصوم بل حياة عملية وفعلية عاشوها ومارسوها ، ومكمن الخطر فى تصورنا ان نعتبر الصوم مجرد نظام من الرموز والعادات ، يجعلنا بذلك نبتعد عن عمق معنى الصوم بإعتباره جهداً من أجل حياة جديدة ، جهاد يفوق مجرد إعداد وجبات وأكلات الصوم ، وبدلاً من إستنفاذ الهمم فى الأكل نتحول الى المشاركة فى واقع الفصح الروحى *SPIRITUAL REALITY OF EASTER*

وهذا يعنى إنه ان لم تكن الطقوس المتبعة خلال التقليد الكنسى وثيقة الصلة بمحتوى المضمون الروحى الشامل الذى أفرزها ، لن نستطيع ان ندرك او نعى او ان نأخذ تلك الطقوس التعبدية مأخذ الجدية ، وتبقى الكنيسة وقد فقدت إتصالها الحى ، ومن ثم يضعف سلطانها وقوتها التى تؤثر فى حياة المؤمنين.. وبدلاً من ان نحول تراثنا الغنى الى رموز ، علينا ان نترجمه الى واقعاً حياً معاشاً فى صميم كياننا ، وعلى كل واحد منا ان يشترك فى قداسات الصوم وفى رفع بخور باكر ، اننا مدعوون لشركة اعمق ، ان نعيش غنى العبادة ونفهمها كحدث روحى حقيقى يرفعنا الى ما فوق ، ولا نحرم انفسنا من جمال "الخدمة الصيامية وعمقها وعونها الروحى الضرورى.

ولكى نأخذ الصوم مأخذ الجدية لابد ان نعتبره تحدياً يتطلب إستجابة ، وقراراً ، وخطة ، وجهاداً مستمراً ، ولهذا السبب كما نعلم اعدت الكنيسة واسست اسبوع إستعداداً للصوم الكبير المقدس وأيضاً سبقته بصوم يونان.. إنه وقت الإستجابة ووقت صنع القرار، ووقت الخطة المدروسة .. وأفضل سبيل لخطة الصوم وأسهلها هو ان نتبع خطى الكنيسة التى لا خلاص لأحد خارجها... نعيش وفق خطة البيعة بحسب أناجيل آحاد الصوم [الإستعداد - التجربة - الإبن الضال - السامرية - المخلع - المولود أعمى «التناصير» - الشعانين].

فهذه الدروس الإنجيلية العملية ليست مجرد حكايات نستمع إليها جالسين متثائبين فى الكنيسة ، ولكنها وُضعت لنعيشها ونختبرها فى قلوبنا ونختبرها على هذا المنوال... هذه هى حياتى أنا ، هذه هى إلزاماتى أنا وإهتماماتى أنا ، فما الإبن الضال إلا أنا وما السامرية إلا أنا وما المولود أعمى إلا أنا... ، علينا ان ننظر الى الصوم بعمق كتجديد روحى يتطلب جهاداً وإنسكاباً وتوبة ودموعاً وسهراً ومحاسبة للنفس ، وقراراً تصحيحياً وجهداً متواصلاً ، ولهذا السبب

وضعت الكنيسة الترتيب الطقسى لآحاد الصوم الأربعينى ، وأفضل الطرق وأسهلها هو ان نتبع توجيه الكنيسة الليتورچى.

فليس المقصود من هذه القراءات الإنجيلية زيادة كم المعرفة إنما الغاية الأساسية منها كما قصدت الكنيسة ان ننتقى من كل شائبة ، فكم تمتلئ أفكارنا وعقولنا بكل صنوف الإهتمامات والتوترات والإنطباعات ، وهذه القراءات الليتورچية ليست مجرد "وصفات للراحة" وكإننا ننظر الى الصوم كما من خارج ، بل الحتمى هنا اننا فى الفترة التى تسبق الفصح نرى شيئاً يأتينا من الله ذاته كفرصة تغيير وتجديد وتعميق. *[CHANGE - RENEWAL - DEEPENING]* فرصة نعتبر فيها كلامنا كقوة هائلة لها قدسية لابد ان تكون للبنيان لاننا سنعطى عنها حساب ، فرصة للعطش والجوع للحياة الأفضل – لا بروح العالم وكإننا نمارس عادات كَنَسية دون إختبار عمقها – والتمتع بغناها مجاهدين حتى الدم ضد الخطية.

ولكى يتم هذا الإختبار فينا لابد من المشاركة فى الخدمات التعبدية فى الصوم ولابد من ان يكون هناك قرار وجهاد ومتابعة للعبادة الليتورچية والمشاركة فيها *PARTICIPATION IN LENTEN SERVICES* فى كل صلوات باكر عندما نصلى الطلبات [إرحمنا يا الله ضابط الكل – إرحمنا يا الله مخلصنا – إرحمنا يا الله ثم إرحمنا – ثم نصلى من أجل الأحياء والمرضى والمسافرين والأمرية والمياه وخلاص الناس والمواضع وسلامة العالم والملوك والمسبيين والراقدين ومن أجل الصعائد والقرابين والمتضايقين والموعوظين].

ونتضرع فى مرد الإبركسيس الى الله الذى يرفع خطايا الشعب من قبل المحرقات ورائحة البخور على الجبل وهو فى نفس الوقت الذبيحة والكاهن وهو العطية والمعطى والموهبة والواهب فى آن واحد ، بل رئيس الكهنة الأعظم الى الأبد على طقس ملكى صادق الذى تناديه فى لحن [ميغالو] ... وكإننا فى العبادة نتطلع الى المسيح قائد موكب نصرتنا وهو على جبل التجربة ، يقدم ذبيحة الصوم لأجلنا وعنا ، وفى ذات الوقت هو الكاهن الأعظم الذى نقدم اليه وبه كل ذبيحة ، وتقودنا العبادة الى خطوة لاهوتية عميقة فتقدم لنا المسيح ككاهن يرفع ذبيحة النسك الى الأقداس السماوية فهو الذبيحة التى ذُبحت عن خطايا العالم كله وهو الذى يُقدم الذبيحة والكاهن فى آنٍ واحد وهذا ما تقصده الكنيسة عندما تقول لحن [ميغالو]..

• لكن بالصوم والصلاة *BUT BY PRAYER AND FASTING*

ليس هناك صوم اربعينى بدون إنقطاع وصوم ، فأهداف الصوم الروحية الحقيقية ليست كما يتصور البعض إنه إمتناع رمزى عن شىء ما وتغيير عادات غذائية معينة... لكن لابد ان نلتفت الى جهاد الصوم ، ولكى نفهم جهاد الصوم ينبغى ان نفهم أولاً ما قدمته لنا الكنيسة من تعاليم حول الصوم ثم نسأل أنفسنا كيف نطبق هذا التعليم فى حياتنا..

فالإمتناع عن الأطعمة بالإنقطاع ضرورى وجوهرى ولكن ليس هو كل الصوم وإلا كان الأكل حراماً ، ولكن المغزى الحقيقى للصوم ، إنه قبل كل شىء قد استعلن لنا تلك العلاقة الوثيقة بين حدثين ، نجدهما فى الكتاب المقدس أحدهما فى بداية العهد القديم والآخر فى بداية العهد الجديد ، وكثير من الناس يصومون ، ولكن المهم جداً هنا هو ان ندرك ونعيش المحتوى المسيحى الفريد للصوم ومضمونه الروحى النسكى..

الحدث الأول كسر الصوم على يد آدم فى الفردوس عندما أكل من الثمرة المحرمة ، والحدث الثانى مع المسيح آدم الثانى الذى بدأ بالصوم ، فآدم الأول

جُرّب وتعثر ووقع فى التجربة وإنهزم ، لكن المسيح رب المجد آدم الثانى جُرب فإنتصر وغلب لحسابنا ، وكانت نتيجة فشل آدم الطرد من الفردوس والموت.. أما ثمرة إنتصار وغلبة المسيح فكانت إبادة الموت والعودة الى الفردوس.. وهكذا يُستعلن لنا الصوم كضرورة حتمية وقصوى فى أهميتها كأمر حاسم جداً فى جهادنا ، وليس مجرد فرض او عادة.. بل هو وثيق الصلة بصميم سر الحياة والموت نفسه *[MYSTERY OF LIFE AND DEATH]* وبصميم الهلاك والخلاص والدينونة.. وهو ما نقوله وتؤكده لنا ذكصولوجية الصوم [لأنك لا تشاء موت الخاطئ مثل ما يرجع ويحيا.. أسألك يا مخلصى فتدركنى مراحمك لتخلصنى من الشدائد المضادة لنفسى.. لا تحرق عدم معرفتى مثل سدوم ولا تهلكنى مع عمورة لكن يا ربى إصنع معى مثل اهل نينوى الذين صاموا فغفرت لهم خطاياهم]..

وفى التعليم الأرثوذكسى ليست الخطية هى التعدى وكسر قاعدة تستوجب العقاب فحسب بل هى إنقطاع عن الحياة التى انعم بها علينا الله ، هى عطب قد أصاب الحياة التى وهبها الله لنا ولهذا السبب فان قصة الخطية الاصلية الأولى قدمها لنا الكتاب المقدس كفعل اكل لان الاكل وسيلة الحياة ، انه الذى يحفظنا أحياء ويبقينا على قيد الحياة لكن هنا يكمن السؤال الأساسى ، ما معنى أن نكون أحياء ؟ وماذا تعنى لفظة حياة بالنسبة لنا ؟ اليوم هذا المصطلح له معنى بيولوجى بالدرجة الأولى فالحياة على وجه الدقة تعتمد أساساً على الطعام ، وتعتمد عموماً على الطعام الطبيعى وبأكثر شمولاً على العالم المادى ، وبحسب الكتاب المقدس والتسليم المسيحى [التقليد] فإن تلك الحياة – بالخبز وحده – تعنى الموت لانها حياة مائتة زائلة ، لان الموت مبدأ يعمل فيها دائماً ، والله كما نعلم لم يخلق موتاً لانه مانح ومعطى الحياة ، فكيف تُصبح الحياة إذن زائلة مائتة ؟ ولماذا الموت والموت وحده هو النهاية الحتمية والقانون المطلق لذاك الذى يوجد ولكل موجود ! تجيب الكنيسة : لأن الإنسان رفض الحياة كما قدمها ووهبها الله وكما أعطاه إياها ففضل حياة لا تعتمد على الله بل على " الخبز وحده " ، فالانسان لم يعص الله فقط وعوقِب ، بل بسقوطه غيّر صميم العلاقة بينه وبين العالم ، لقد

اعطاه الله العالم كطعام وكان العالم مقدماً للانسان من الله بمثابة " طعام " أى كوسيلة حياة ليكون القصد منها الشركة مع الله *[COMMUNION WITH GOD]* حيث الحياة هنا تبلغ غايتها بل عمق محتواها فيه [فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس]..

ومن ثم كان خلق الله للطعام وللعالم كوسائل للشركة معه فإذا ما قُبلت من اجل الله منحت الحياة واعطتها ، لان الطعام فى حد ذاته ليس فيه حياة ، ولا يقدر أن يهب الحياة ، الله فقط فيه الحياة وهو وحده عنده الحياة ، يهبها لا فى الطعام نفسه ولا فى السعرات الحرارية لانه هو مبدأ الحياة... وبالجملة نكون عندما ناكل او نحيا او نعرف الله فى شركة معه لان كلها شىء واحد ، وهذا هو عمق مغزى تدبير الكنيسة فى الصوم...

وكانت مأساة آدم إنه أكل من اجل نفسه هو ، والاكثر من ذلك انه اكل "معزل عن الله" منفصلاً عنه لكى يصبح مستقلاً عن الله [التأله الكاذب] وإذ قد فعل ذلك فلأنه إعتقد ان الطعام يملك الحياة فى ذاته ، وانه اذا ما تناول هذا الطعام يستطيع ان يصبح مثل الله أى تصير له حياة فى ذاته ، ولكى نصف الامر ببساطة فآدم "آمن بالطعام" ، لقد آمن بالطعام مع العلم ان الغرض الوحيد للاعتقاد والايمان هو الله وحده.

ان الغاية الوحيدة لايماننا انما تكمن فى الإتكال والإعتماد على الله والله وحده الذى فيه شبعنا لان فيه غنى وشبع وسرور وفى يمينه المجد كل الايام ، واليوم صار العالم والطعام ولقمة العيش هو إله الانسان ومصدر حياته واساسها ، وصار الانسان عبداً لهما [أى العالم والطعام] ، ونقول اننا نؤمن بعمل الله ولكن لابد ان نؤمن ان الله حياتنا وطعامنا وملجأنا وناصرنا وشبعنا وغنانا وحياتنا الابدية معاً.. وهذا ما تلفت عيون قلوبنا له البيعة فى موسم الصوم الاربعينى عندما تضع لنا " إنجيل الإستعداد " اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره ، وتأخذنا الى الشبع الحقيقى لكلمة الله فى " إنجيل أحد التجربة " ، وتعرفنا ان المسيح هو الينبوع الحى الذى كل من يشرب منه لا يعطش " إنجيل أحد السامرية " ، وان

السيد هو سر الشفاء والخلق فى أحد " المولود أعمى " ، وهو الذى يملك على حياتنا فى " أحد الشعانين " ، وبالجملة هو سر غلبتنا وقيامتنا فى أحد القيامة العظيم.

ان كلمة آدم فى العبرانية تعنى (الإنسان) انه اسمى واسمنا المشترك جميعاً ، فلا يزال الانسان هو آدم ولا يزال آدم عبد الطعام... وقد يزعم انه يؤمن بالله لكن الحقيقة ان الله ليس حياته ولا طعامه ولا محتوى وجوده الذى يشمله بالتمام.. وقد يزعم انه ينال حياته من الله ، لكنه لا يعيش فى الله ومن اجل الله ، فقد تأسست كل علوم الحياة واختباراتها وصار وعينا يسير وفق نفس المبدأ [بالخبز وحده]... ينبغى ان نعرف اننا نأكل لنظل أحياء لكننا لا نحيا لكى نأكل ، وعدم حياتنا فى الله هى خطية كل الخطايا وهذا هو حكم الموت الذى يكمن فى حياتنا.. فهل من دخول الى الاحضان الأبوية مع الإبن الشاطر فى الأحد الثانى للصوم ؟ وهل من لقاء مع المسيح عند بئر السامرية ؟ وهل من إستنارة وبصيرة روحية مع المولود أعمى فى أحد التناصير ؟

المسيح هو آدم الثانى الجديد الذى أتى ليُصلح ما فسد فى الارض فى حياة آدم الأول ، أتى ليستعيد الإنسان الى الحياة الحقيقية لهذا بدأ بالصوم (فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة) (مت ٤ : ٢). وتضع الكنيسة امامنا المسيح من خلال منهج عبادتها فنقول انه [إعتمد وصام أربعين يوماً وأربعين ليلة وكان مع الوحوش لما صام فى البرية لكى نصنع مثله فى زمن وحدتنا]..

والجوع هو تلك الحالة التى نتيقن خلالها من إتكالنا على شىء آخر عندما نحتاج وبشكل ضرورى واساسى الى الطعام فنعرف ان لا حياة لنا فى انفسنا واننا لا نملك حياة فى ذواتنا ، وانه ذلك الحد الذى بعده قد نموت جوعاً ولا نستطيع ان نتجاوزه وأسأل : علام تعتمد حياتى وتتوقف ؟ ، وحيث ان السؤال ليس سؤلاً أكاديمياً نظرياً بل نحسه بكامل اجسادنا هنا يأتى وقت التجربة وزمنها.

لقد أتى الشيطان الى آدم فى الفردوس ، وأتى الى المسيح فى البرية ، أتى الى إثنين جائعين وقال كُلا لان جوعكما دليل على إعتمادكما بالكامل على الطعام وعلى ان حياتكما هى فى الاكل والطعام فصدق آدم الأول وأكل.. ولكن المسيح الكلمة المتجسد رفض التجربة وقال :- ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل [بالله الكلمة]..فالحياة تصير بكل كلمة تخرج من فم الله.

لقد رفض المسيح ربنا ان يقبل تلك الاكذوبة الكونية التى نشرها الشيطان الكذاب فى العالم جاعلاً من تلك الاكذوبة حقيقة بديهية ، وتؤكد ذاتها ولا تحتمل الجدل بعد ان صارت اساس عالمنا وعلومنا وبذلك إستعاد المسيح تلك العلاقة بين الاكل والحياة والله التى كسرها آدم والتى لا نزال نكسرها نحن كل يوم.

فما هو الصوم بالنسبة لنا نحن المسيحيين ؟ إنه دخولنا ومشاركتنا فى إختبار المسيح نفسه الذى صام عنا ، تلك الخبرة التى بها يحررنا من الإعتماد الكامل على الطعام والمادة والعالم ، وقد صار محررنا ونحن بعد نعيش فى هذا العالم الساقط ، عالم آدم القديم بإعتبارنا جزءاً منه لا نزال نعتمد على الطعام و صار موتنا الذى يجب ان نجتازه بفضل موت المسيح عبوراً الى الحياة أى فصحاً ، والاكل الذى نأكله والحياة التى يسندها هذا الاكل ، يمكن ان تكون حياة فى الله ومن اجل الله...

وهنا نقول ، هل اللقمة للانسان ام هل الانسان للقمة ؟ الانسان الذى يعيش ليأكل كأن سجين يعبد ذاته ، ونحن شبعنا فى المسيح طعام الابدية ومصل عدم الموت ، لقد صار جزءاً من طعامنا بالفعل [خبز الخلود] جسد ودم المسيح نفسه ، وهكذا لن يكون لأتعاب الصوم أية منفعة بدون التمتع بالتناول الذى نعبر عنه بهذا القانون الذى نردده فى ختام القداسات أثناء الصوم ونقول :

[هذا هو جسد ودم الاله الوحيد هذان اللذان تناولنا منهما فلنشكره ولنسبح مع الطغمات والابرار صارخين قائلين : يا من صام عنا اربعين يوماً واربعين ليلة اقبل اليك الصوم واغفر لى آثامى بطلبات وشفاعات سيدتى القديسة مريم خلصنا...] ، وكل صوم يلزم ان ينتهى بالتناول اذ بذلك تكمل ذبيحتنا ويكمل بذلنا [صلوا من

اجل التناول بإستحقاق. اطلبوا عنا وعن كل المسيحيين] القداس الالهى .

فالصوم وحده يمكنه ان يحقق هذا التحول ، ويمنحنا الدليل الوجودى على ان الإعتماد على الأكل والمادة ليس هو الحياة ، بل الكلمة والصلاة والنعمة والإنسحاق والتقدم الى السرائر.... وإذ يقترن الصوم بالصلاة والنعمة ، والعبادة والشركة ، والتوبة والشهادة والخدمة يصبح صوماً روحياً.

وإذا ما تعمقنا فى فهم هذا كله يصير الصوم الوسيلة الوحيدة التى يستعيد بها الانسان قامته الروحية الحقيقية ، والامر ليس نظرياً بل هو تحدى عملى لذلك الكذاب الكبير المحتال إبليس الذى إستطاع بأن يقنعنا ان نعتمد على الخبز وحده ، وراح يبنى المعرفة البشرية كلها والعلم والوجود على تلك الاكذوبة المضيعة والمضللة ، فالصوم هو هدم لتلك الاكذوبة وهو الدليل ايضاً على انه اكذوبة.. ومن المفيد ان ندرك ان المسيح مخلصنا لما كان صائماً واجه الشيطان [إنجيل الأحد الثانى من الصوم «أحد التجربة»]، وانه قال فيما بعد ان الشيطان لا يُهزم إلا بالصلاة والصوم... لذلك تلتزم كنيستنا فى عبادتها الليتورچية أثناء فترة الصوم الاربعينى ، بصلاة اطول ، وامانة اشد ، وتضحية ابعد مدى واكثر تجسيداً... وهذه هى اعجوبة الصوم التى تجعلنا اكثر اتحاداً وقرباً من الله..

– فالصوم هو الجهاد الحقيقى والعراك ضد ابليس لانه تحدى ذلك القانون الواحد الشامل الذى يجعله [رئيس هذا العالم] . وغلبتنا بالصوم والجوع والعطش هى نبع الطاقة الروحية لكى لا تبقى هذه الاكذوبة التى نعيشها منذ آدم الى الآن !!

اين نحن الآن من مفهوم الصوم الاصيل ؟ كم نحن بعيدون الآن عن مفهوم الصوم إذ نعتبره مجرد تغيير للاكل ومجرد شكليات ، ما هو مسموح وما هو ممنوع ، يا لها من ضحالة ومجرد تغيير طعام !! ان الصوم لا يعنى إلا شىء واحد ، ان نجوع لنبلغ ذلك الحد "حالة الانسانية التى تعتمد تماماً على الطعام.. لنكتشف فى جوعنا ان ذلك الاعتماد ليس هو الحقيقة كلها عن الانسان وان الجوع نفسه انما هو أولاً وقبل كل شىء حالة روحية نورانية نذوق فيها الطبيعة الجديدة التى تجلت على جبل طابور.. وان الصوم فى جملته جوع من اجل الله ولله ، لذلك نجد امنا البيعة الأرثوذكسية قد تزينت بأحلى ما عندها من طقوس وألحان وقراءات وممارسات روحية وكلها اطعمة روحية تعدها لأولادها العابدين الذين حرموا انفسهم بارادتهم من طعام الارض البائد واغلقوا حواسهم عن كل لذة ترابية وعكفوا ملازمين البيعة بنسك وتقوى لان العبادة الليتورچية تحول النسك والصوم الى عبادة قلب ولذة روح وممارسة وخبرة عملية ومجال سلوكى بحياة الجميع... فالامتناع عن الطعام غير كاف ، اذ يجب ان يرافقه نظيره الايجابى ، والذى يتحدد وفقاً لبرنامج العبادة الكَنَسية ، التى تكون اكثر وضوحاً فيها.

وفى الكنيسة الاولى كان الصوم دائماً يعنى الانقطاع الكامل يعنى حالة الجوع يعنى دفع الجسد الى اقصى ما يمكن من قمع وهنا نكتشف ان الصوم كجهاد طبيعى لا معنى له بدون مغزاه الروحى ، فالصوم كجهد جسدى لا معنى له البتة بدون الجهاد الروحى ، وبدون تعرية انفسنا بالحق الالهى ، وبدون اكتشاف اعتمادنا على عمل الله يصبح صومنا انتحاراً .

ولان المسيح نفسه قد جُرب أثناء الصوم لذا فما بقيت لنا فرصة واحدة بعد تجربته لنتجنب تلك التجربة فلا مفر منها ، والصوم البدنى وإن بدا ضرورياً فإنه يصبح بلا معنى بل وأيضاً يصبح خطيراً إذا إنفصل عن الجهاد الروحى ، وإذا أنفصل عن الصلاة والتأمل فى الإلهيات ، وهو ما نصرخ من أجله فى العبادة قائلين [تعالوا نصرخ نحوه ونبكى امامه كما علمنا.. أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك فى كل جيل وجيل.. اطرد الشياطين عنا لنكمل بسلام لانه ليس لنا آخر سواك].

والصوم فن بل فن الفنون ابدع فيه القديسين أيما إبداع ، ويكون الامر خطيراً ولا طائل من وراءه إذا مارسنا هذا الفن بدون عناية وحذر أعنى بدون ارشاد أب الإعتراف والمرشدين الروحيين ، والعبادة كلها أثناء الصوم الأربعينى هى تذكرة دائمة بالصعاب والجهاد والتجارب التى تنتظرنا ، ولهذا السبب عينه نحتاج

لإستعداد روحى للجهاد فى الصوم ، وهذا الإستعداد يشمل التضرع لله ليساعدنا وأن يجعل صومنا متمركزاً حوله.. [ربنا يسوع المسيح صام عنا حتى خلصنا + أبانا الذى فى السموات + أنا أعرف إنك صالح ورؤوف اذكرنى برحمتك الى الابد + إجعلنا مستحقين نعمتك أيها المخلص فى هذه الايام ونحن بلا خطية مع صوم نقى].

لذلك ينبغى علينا ان نصوم من اجل خاطر الله *[FOR GOD'S SAKE]* ، لنعيد إكتشاف جسدنا بإعتباره هيكل حلوله الإلهى.. ونوفر وقاراً للجسد والطعام. ولكل منظومة حياتنا ، لأننا آنية للسيد ، وهياكل مقدسة له.

ولنمارس الصوم على صعيدين :- أولاً كصوم كلى ، وثانياً كصوم نسكى ، فالصوم النسكى معناه إختزال الطعام حتى الكفاف واقل من الكفاف حتى تعاش حالة الجوع الثابت التى نذكرنا بالله ، ونبقى فى جهاد ثابت حافظين فكرنا فيه.. وهذا الصوم يجعلنا اكثر خفة ويقظة ونشاطاً وبتولية وتركيزاً وتكريساً ورقة وفرحاً ونقاوة ، وعندئذ نتناول الطعام كهبة حقيقية من الله ليكون منظومة لحياتنا وسماتها كلها ، فتتحول الطبيعة بالصلاة والصوم والتذكرة واليقظة والتركيز الى قوة ايجابية [فالصوم والصلاة هما اللذان عمل بهما موسى حتى أخذ الناموس والوصايا وهما اللذان رفعا إيليا الى السماء ، وهما اللذان خلصا دانيال من الجب وهما اللذان عمل بهما الأنبياء والصديقون والشهداء]..

والصوم الكلى هو ان يتزامن صومنا مع العبادة والمطانيات والهجعات والسجود وقرع الصدر وأعمال التوبة والرحمة والمحبة والخدمات وفترات الإنقطاع ، فلا صوم من غير إنقطاع ، ولا صوم من غير ذبائح ، ولا صوم من غير إقتداء بالمسيح الذى صام عنا.. [إتبعنى] (مت ٩ : ٩)

• وأخيراً يصير لنا الصوم نمط الحياة *[LENT : STYLE OF LIFE]*

وأخيراً يصبح لنا الصوم وممارسة العبادات والصلوات الفردية والجماعية كنمط للحياة كلها ، فلا يكون إنشطاراً فى الوجود او ثنائية فى الحياة ، ولكن نمط حياة تُعاش فى ديمومة مستمرة ، نقتبلها أثناء الصوم كنسق ووتيرة للحياة بجملتها.. لأن الأرثوذكسية هى العيش والإختبار والممارسة والتذوق والتلامس المستمر من غير ما إزدواج ولا إنفصام ولا ثنائية ولا سطحية.. فلنا حياة واحدة ، لا حياتان ولنا رأى واحد لا رأيان .

ان الصوم نمط حياة تشدد فيه الكنيسة على التوبة كمعمودية ثانية [اعطنى يارب توبة لكى اتوب قبل ان يسد الموت فمى فى أبواب الجحيم].

والذين يدركون ويعرفون ويفهمون جمال العبادات وعمقها يتمتعون بها ، فالجهل بالليتورچيا هو السبب المباشر فى ضعف ممارسة الصوم وادراك غايته فيصبح

مجرد مجموعة من فرائض وعادات غذائية ، ولا طريق إلى إدراك روحانية الصوم كتدريب يصبح نمط حياة ، الا بالسماع الواعى والاشتراك فى العبادات الصيامية (نصلى بالروح ونصلى بالذهن أيضاً) ، فتصبح عبادتنا خشوعية سهمية تعبدية نسكية بعيدة عن الشكلية والآلية (حينئذ لا يتعب فمنا ، ولا يسكت لساننا ، إذ ننطق بكرامة الصوم والصلاة).

اننا ندرك معانى الصوم بالليتورچيا خلال ذكصولوجيات وإبصاليات الصوم ، تلك العبادة التى تكشف من خلالها رؤية الحياة والموت والأبدية ، ونترنم فيها بترنيمات الفرح السماوى اللذيذ والأصيل الذى يفصح عن روحانية وأصالة الكنيسة ، فبينما نحن صائمون نحس خلال العبادة اننا نرنو الى شاطئ الوطن السماوى وأن سفينة حياتنا تتهادى حيث تعين نصيبنا كوطن وكمواطنين [اهدنا إلى ملكوتك] ، نقترب من أرض الاحياء وأهل بيت الله ، مما حدا بالآباء ان يضعوا ضمن صلواتنا ، [نعم ياسيدنا اقبلنا إليك واعطنا كمالاً مسيحياً يرضيك ونصيباً مع جميع قديسيك].

ولاشئ يجعلنا نعيش الصوم بعيداً عن مفهوم الفريسى التافه الذى يجعل الصوم سلبياً ، إلا التأمل فى صلواتنا الكنسية التى استطاعت ان تطبع فى وجداننا حلاوة هذا الزمن الروحى ، حتى ان اعضاء الكنيسة كلها عبر ضفاف

النيل ، يعيشون روحانية الصوم متشبهين بالقديسين وسكان البراري !! أليس الصوم والتربية النسكية هي التي صنعت شهداء الكنيسة ومعترفيها ، [شهداء المسيح تغلبوا على العذاب بواسطة الصوم واحتمال صبره].

[العذارى الحكيمات المتسربلات بالطهارة كانت مصابيحهن مملؤة زيتاً بالصوم والصلاة].

وأى مؤمن ذاق طعم الحياة الليتورجية الحقيقية يدرك يوماً بعد يوم ما معنى ان نترجى ، وكيف ان المسيحية هى قبل كل شئ رجاء وفرح وتهيئة للملكوت ، لذلك توازرنا فى الصوم قوة الروح القدس لنعيد النظر فى حياتنا وسلوكنا الشخصى فنقطع الأهواء والشهوات بسكين الروح ، ونضبط انفسنا بتعفف ، نامين فى الفضيلة والرحمة ساهرين على كلمة الله مواظبين على الصلاة القلبية بندامة قرع صدر.

[تعالوا لنصوم صوماً كاملاً لان بالصلاة والصوم يغفر لنا الرب].

والناظر بعمق إلى منهج كنيستنا الليتورجى ، يعرف ان كل مقومات الصوم ، ليست مجرد "وصفات" ولكنها اقتراب وذبيحة نقدم فيها ذبيحة حبنا للمسيح العريس السماوى الذى صام عنا ، حينئذٍ لا ننظر للصوم من بعيد ، ولكن كأمر آت إلينا من الله نفسه ليس فيه مساومة ، رتبته امنا الكنيسة كفرصة للتغيير والتجديد والتوبة والتعميق ، وهى فرصة نركز فيها ابصارنا نحو ربنا يسوع المسيح الذى صام من اجلنا لكى ما نتغذى به [تعالوا انظروا مخلصنا محب البشر الصالح ، صنع فعل الصوم بتواضعه العظيم فوق الجبال العالية بانفراد جسدى ، وعلمنا المسلك الذى نسلك مثله ، ابطل قوة العدو وحيله وحججه ، وافتضح المجرب امامه].

وتنتهز العبادة خلال فترة الصوم الفرصة لتذكرنا وتحضرنا إلى اكتشاف الحياة المسيحية كجهاد و توبة مستمرة لا تنتهى ، وكذلك تحرص على الجهاد وضبط النفس والمواظبة على الصلوات [قانون الأجبية] وحضور القداسات ، وكل هذا يجعلها تفصح عن قانونية الجهاد الروحى الذى ينبغى ان يلف اعضاء الكنيسة ، وهى ايضاً تشير الى قوة الصوم وبركاته كسلاح قوى له فاعليته ، [المتمسكون بالصوم والصلاة دائماً بأيديهم سيوف واسلحة ، ربنا يسوع ملك السلام يغبط الصوم وكل من مارسه ، جنس الاشرار يهربون ويهلكون بواسطة الصلاة والطلبات مع الصوم ، شهداء المسيح تغلبوا على العذاب بواسطة الصوم واحتمال صبره ، العذارى الحكيمات المتسربلات بالطهارة كانت مصابيحهن مملؤة زيتاً بالصلاةوالصوم].

ان الآباء المرتشدين بالروح القدس الذين وضعوا البنية العامة للعبادة الليتورجية فى الصوم أرادوا ان يجعلوا من الصوم نموذج ونمط الحياة بجملتها ، حتى ان المنهج الليتورجى القبطى رسم للعابدين طريق نموهم الروحى ، مؤكداً على محبة المسيح عريس الكنيسة لكل الخاطئين الذين يشتاق إلى رجوعهم إليه [لانى اعلم بالحقيقة إنى خاطئ واعمالى الرديئة كلها ظاهرة امامك ، اقول بصوت العشار صارخاً قائلاً اللهم اغفر لى انا الخاطئ].

لأننا بالصوم ننال غفران الخطايا والتطهير [اننا نحن شعبك وغنم قطيعك ، تجاوز عن آثامنا كصالح ومحب للبشر] - [ايها المتحنن على الخطاة من اجل الصوم اغفر لنا خطايانا] - [برودة وراحة ونياحاً من أجل الصوم تكون فى الدينونة].

والصرامون سيكافئون عن ذبيحة صومهم مثلما نال الغلبة داود بن يسى ومثلما تحنن الرب على حواء وآدم بعد أن خدعتهما الحية ، وايضاً مثلما استنار عقل أخنوخ ورفع إلى السماء ، وقبلت السماء صلاة ايليا وذبيحة ابراهيم من اجل الصوم ، ومثلما خلص اسحق بتهليل من اجل الصوم ، ومثلما نظر يعقوب السلم من اجل الصوم ، ومثلما خضعت الاسود لدانيال النبى من اجل الصوم ، وطالت ايام صموئيل ماسح الملوك.. وختاماً نقول ان إله الآلهه يسوع الديان من اجل الصوم ثبت المجاهدين.

والعبادة الكنسية تشير الى قانونية الصوم كممارسة روحية وتدريب إلهي انجيلي رسولي ، آبائي ، ومن ثم يلزم ممارسته ، فالذي يعتبره البعض رموز وممارسات وقراءات وتلاوات ، هو في الحقيقة عمق وسائط النعمة وأساس الجهاد الروحي.

[بصوتي صرخت اليك يا إلهي فمن أجل الصوم اعطني خلاصاً ، أعن ضعفي ايها المخلص ومن اجل الصوم اغسل اقذارنا].

ووسط الجوع والعطش ، تشبعنا الكنيسة امنا بمائدة عبادتها حتى نقف عملياً على عدم مصداقية المبدأ القائل ان الانسان هو ما ياكل ، فتضفى الكنيسة فى عباداتها طابع الدالة البنوية وترجى الميراث الأبدى.

[كل النفوس التى ارضت الرب الاله بالأعمال ، بالصلاة والصوم فازت بملكوت السموات]

وفيما نحن نصوم ترفعنا الكنيسة فوق ضعف الجسد وحروبه ، لنقرن الصوم بالتسبيح [نعم ياسيدنا ياذا السلطان نسبحك بالمدائح ونسجد لك فى الكنائس من الآن والى الانقضاء ، حينئذ لا يتعب نفسنا ولا يسكت لساننا إذ ننطق بكرامة الصوم والصلاة].

ولنسد جوع الجسد بشبع الروح ، بالتقدم للزاد السمائى حيث الذبيحة الإلهية (الجسد والدم اللذان الذى هما لمغفرة خطايانا مع العهد الجديد الذى اعطيته لتلاميذك) [الآن تناولنا من جسدك ودمك الحقيقيين تجديداً لذاتنا وغفراناً لخطايانا]..

أخيراً تقدم لنا الكنيسة نماذج من الانبياء والرسل والقديسين والقديسات الشفعاء ، ليكون لنا فى الطريق آثار غنم ، وفى السماء سحابة شهود فنقول :

بالصوم استحق ابراهيم ان يضيف الله عنده مع ملائكته الاطهار .

بالصوم اصعد اسحق ذبيحة طاهرة معطياً اشارة للمسيح .

بالصوم خلص يعقوب من عيسو اخيه واخذ بركة من أبيه .

بالصوم تراءف الله على عبده الصالح البار أيوب ومنحه الشفاء .

بالصوم ارتفع يوسف وملك على مصر .

بالصوم رفع الله غضبه عن اهل نينوى .

بالصوم تنبأ جميع الأنبياء والابرار من اجله بانواع كثيرة .

بالصوم ارسل القديسين ليكرزوا فى جميع المسكونة.

بالصوم نال الشهداء المجاهدون الاكاليل غير المضمحلة.

وهذه هى الأرثوذكسية ، كما انها استقامة الرأى والعقيدة هى استقامة الحياة ايضاً.. ويتم ذلك بالجهاد الروحى لإستعادة العادات المسيحية المستمدة من التسليم والتى تذكرنا دائماً بما ينبغى أن نكون عليه حسب بدايات الحياة المسيحية ، فالصوم هو برنامج عمل ، لا مجرد عظات ولا صلوات وعادات إنما هو توبة ومحبة وزهد ومصالحة وبذل وعطاء .

لابد من أن نبدأ من البيت [المذبح العائلى] ، لابد أن نغير نمط حياتنا ونفرغ هذا المجتمع الضوضائى ، ونستبدله بالإعتكاف الإيجابى ، من خلال القراءات والمواظبة على الليتورجية ، والإقتداء بمعلمى الكنيسة العظام وسير حياتهم كالأنبا أنطونيوس ومريم المصرية والقديس القوى موسى الاسود والانبا بيشوى حبيب مخلصنا الصالح .

والمجد والإكرام لمن جاع ليظهر أنه أخذ الجسد وصار معنا من أجلنا ، غير المنظور الذى جاء واشرق علينا فصير الخاطئ مبرراً .

ارحمنا ثم ارحمنا وارث لضعفنا واقبلنا وجد علينا بالغفران ، واجعلنا لاوامرك

طائعين يا صاحب الامر والتدبير

نسألك ان تحفظ بيدك العالية حياة البابا شنودة الثالث عمود الدين وكل الآباء والمدبرين .

الفصل الخامس

آحاد الصوم الكبير

آحاد الصوم الكبير

من اجل فهم افضل لتقليد الكنيسة الليتورچى ومشاركة اعمق فى حياتها ، سنتأمل فى آحاد الصوم الكبير فى هذا الفصل ، لانه لا حياة روحية من غير اختبار وممارسة وحمل للصليب فى قانونية الجهاد .

ويعلمنا الانجيل ان التوبة هى بداية الحياة المسيحية الحقيقية وشرطها الاساسى ، فقول كلمات المسيح رب المجد فى بدء كرازته كانت " توبوا " (مت ٤ : ٧) .

ولكننا فى زحمة حياتنا اليومية لا نفكر فى التوبة ، ونفترض ان كل ما علينا أن نذهب الى الكنيسة وان نمتنع عن بعض الاطعمة فى الصوم ، عندئذ نكون صائمين ، ولكن امنا الكنيسة – الأمر الهام – رتبت اسابيع الصوم الكبير ، كرقت مخصص للتوبة والجهاد الروحى ، من اجل التمتع بفرح القيامة .

وهذا الترتيب الطقسى الليتورچى لآحاد الصوم ، يجب علينا أن نعيشه كحياة وعضوية فى الكنيسة المقدسة البيعة الارثوذكسية ، لا على مستوى المعرفة بل على مستوى التذوق والتمتع بكل ما تدبره لنا من خلال طقسها الصيامى وروح الصوم الكبير وخدماته ، فليس هناك شئ فى العالم اجمل واكثر حلاوة وغنى مما تقدمه لنا امنا الكنيسة اورشليم الارضية التى خارجاً عنها لا يوجد خلاص .

وهذه الاناجيل [اناجيل آحاد الصوم الكبير] ليست للترديد والاصغاء فى الكنيسة فحسب بل القصد منها ان نحملها معنا الى بيوتنا لنحياها ونلهج فيها ونتهجاها ، عندئذ فقط نقف على حقيقة خبرة الصوم ونتأمله بالقياس الى حياتنا فيطبع الطقس حياتنا اليومية ، لان الانسان المسيحى بجملته كائن ليتورچى عليه ان يتدرب كل حين على الصلاة والتسبيح والتمتع بمعية القديسين وبركة الحضرة الإلهية .

ولاهمية الصوم الكبير ، وضعت الكنيسة صوم نينوى قبله بأسبوعين وبنفس الطقس ليكون بمثابة تمهيد واستعداد للجو الروحى المناسب للتوبة ومحاسبة النفس والمواظبة على الصلاة ، للتهيوء لشركة صوم الاربعين المقدسة واسبوع البصخة إلى ان تشرق علينا بهجة قيامته يسلام .

والمسيح إلهنا عريس الكنيسة يعضدنا ضد خداع الشهوات ، رب الكل الذى جُرب من العدو إبليس لكى يعلمنا جميعاً فيه كيف ننتصر ونغلب ظافرين به . . . ويالها من رحلة تعدنا فيها الكنيسة لنتتبع آثار خطوات الرأس عابرين من البرية الى الفردوس ، ولننظر أية طرق نسلكها ، وها هو المسيح مخلصنا فى البرية يعلمنا ونحن فى برية العالم، ويدربنا ويمسحنا بالدهن المقدس ونحن ندعوه ان يرد لنا بهجة خلاصنا ، وكل من يريد ان يقتنى مجد الانجيل والقيامة ، عليه ان يدخل إلى العمق ، ليلمس ان المسيح قد جاع لا إلى طعام بل إلى خلاصنا ، فنغلب بالمسيح وفى المسيح بما سبق ان غلب به آدم ، فلنحذر الشهوات الحسية والشراهة وسهام العدو ، فنتغذى بالكلمة الالهية ونقتنى طعام كلمة الحياة السمائى الذى بجوهره غير المنظور يثبت قلب البشر (مز ١٠٣ : ١٥) ، ولنبعد عن تجربة جناح الهيكل ، فإبليس لا يستطيع ان يؤذى إلا ذاك الذى يلقى بذاته إلى اسفل حيث شبكة المجد الباطل ، بل نفتخر بضعفنا ، ونخدم إلهنا حتى يجازينا بثمار الحياة الابدية ، ولنهرب من كل ما هو تحت سيادة ابليس لئلا نقع تحت عبوديته المُرة ولا نعود بعد نشقى او نتثقل بالاحمال بل نرفع اصواتنا بإتفاق مقدس فى صوم وصلاة وسهر وأعمال رحمة وتمسك بالإيمان الصحيح فى مواجهة البدع والهرطقات .

إنها رحلة تأخذنا فيها الكنيسة إلى أحضان الآب السماوى ، مروراً بالآحاد الليتورچية

تركز الكنيسة فى هذا الإسبوع على الاستعداد ، وتتحدث عن الصدقة والصلاة والصوم كممارسات تقوية ، وعن أبانا الذى فى السموات ، وعن عدم الإتكال على المال ، والبعد عن الرياء والغش والعصيان [أش ١ : ٢] .

فهدف الكنيسة هو العبادة بلا رياء ، والعمل فى خفاء ، والاتكال على الله ، والتوبة الإيجابية واعمال البر ، فنرى ملكوت الله وتتدفق فينا الحياة الالهية .

نسمع المسيح نبع الحياة ينادينا لكى نجعل كل كنوزنا فى السماء ويحذرنا من محبة المال ، (لا تقدرون ان تخدموا الله والمال ، لا تهتموا لحياتكم .... اطلبوا اولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم ..... فلا تهتموا بالغد) .

ويجوز ان نسمى هذا الاسبوع " أبانا الذى فى السموات " ، حيث نشعر باهتمام الآب بنا ، فلا نعود بعد نهتم بالعالم موجهين أنظارنا نحو السماء... ان سبب الامراض النفسية والعصبية والقلق والخوف والرعب من المستقبل ، هو ان كنزنا فى الارض حيث قبض الريح .

وترفعنا الكنيسة لكى ننشغل بالسماء حيث كنزنا الحقيقى ، فنرى الله ونحيا فى احضانه ، بعيداً عن كنوز الارض التى يفسدها السوس وتتعرض للصدأ وطمع اللصوص ، نحيا فى عبادة (الصدقة فى الخفاء – لقاء الصلاة والحب الداخلى – الصوم والنسك ببهاء وسرور) سماوية نقية نسمع فيها للمشورة الإلهية بأن السماء والارض تزولان (مت ٢٤ : ٣٥) .

وتلفت الكنيسة أنظارنا إلى مراحم الله لنلتزم بها، وتطالبنا لنصالح خصمنا ونبعد عن المنازعات، وتكون طبيعتنا هى العطاء بسخاء كطبيعة داخلية تنبع عن حنين مستمر لنقل ممتلكاتنا إلى السماء فيتحول كنزنا إلى فوق .

والصوم هو وضوح الرؤيا ووضوح الهدف حتى لا يضيع العمر ولا تفنى السنين، بل نسعى نحو غايتنا السمائية وننشغل بأبديتنا ، ولأننا لا نقدر أن نعبد الله ونحب المال فى ذات الوقت ، لذلك قصدت الكنيسة فى احد الاستعداد أن تضع هذا الإنجيل لتسألنا عن سلامة الإيمان وسلامة القلب ، وكل من لايحترس لنفسه يكون نصيبه مع إمرأة لوط، والغنى الغبى ، وحنانيا وسفيرة ، لذلك نصلى فى مديحة الأحد [كونوا فى المال زاهدين وأتجروا فى العشر وزنات ولا تسلكوا فى الأمور بوجهين فالله يعلم ظاهرها وخافيها] .

وتوصينا الكنيسة فى إنجيل هذا الصباح بالتسليم [قال لاتهتموا بالغد بالمرة فالغد بشأنه يهتم ، وإطلبوا ملكوت الله وبره والباقى يزاد لكم ويتم] .

وفيما نتجمع حول الكنز السماوى وطلب ملكوت الله ، لابد أن نقتنى البصيرة الداخلية [العين البسيطة] التى تجعل الجسد نيرا ، له هدف سماوى لايتذبذب بين النور والظلمة [فلا تكونوا ذى لسانين والشرائع لا تحابوا فيها] فالعين يشبهها الآباء بالقائد الذى إن سقط أسيراً ماذا ينتفع الجند بالذهب ؟ وبربان السفينة الذى إن بدأ يغرق ماذا تنتفع السفينة بالخيرات الكثيرة التى تملأها ؟!

والعين البسيطة هى التى لا تنظر فى إتجاهين ولا تتضارب أهدافها بل يكون لها هدف واحد وفكر واحد بسيط وفريد غير منقسم ولا متذبذب ، تلك العين البسيطة التى لا تعرج بين السماء والارض لأن حب المال يجرى ورائه كثيرون ، فيتسبب فى بؤسهم وإستعبادهم له ، وكل من يخدمه [أى المال] يخضع للشيطان القاسى المهلك ، ويصير مهلكاً حينما يسحب القلب إلى الإهتمام به والإتكال عليه حيث ظلمة القلق والإرتباط بشكليات العالم ، فعوض الإهتمام بالحياة ذاتها ينشغل بالاكل والشرب ، وعوض الإهتمام بالأبدية ينشغل بالعالم والأمور التافهة .

كفانا عروجا بين الفريقين، ولنحيا فى الكنيسة أمنا ساعين نحو خلاصنا ولنردد مع القديس أغسطينوس شفيع التائبين "لقد خلقتنا يارب متجهين إليك وستظل قلوبنا قلقة إلى أن تستريح فيك".. لإنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟

ولنتأمل الذين كان يذكرهم بولس الرسول بالخير، والآن يذكرهم باكياً إذ أحبوا

العالم الحاضر وغنى هذا الدهر وهم أعداء صليب المسيح ... وينبهنا القديس يوحنا الرسول : من أراد أن يكون محبا للعالم فقد صار عدواً لله، ولكن إن أردتم أن تتعلموا إحتقار أباطيل العالم ، إسألوا إبراهيم أب الآباء الذي كان يمتلك خيرات كثيرة ولكنه كان يرفع وجهه إلى اله السماء وينظر إلى الميراث الأبدى والمدينة التى لها الأساسات .

إسألوا داود النبى الذى لم تشغله مهام الملك ، ولا هموم الغنى عن شركته الحقيقية مع الله ، وكان يسأل ويلتمس أن يسكن فى بيت الرب ويتفرس فى هيكله المقدس .

إسألوا الرسل الحواريين الأطهار الذين تركوا كل شئ وحسبوه نفاية وخسارة من أجل فضل معرفة المسيح ، وصاروا كفقراء ، ولكنهم يغنون كثيرين ، وكأن لا شئ لهم وهم يملكون كل شئ .. [هاقد تركنا كل شئ وتبعناك]، إسألوا القديس أنطونيوس العظيم الذى باع ٣٠٠ فدان وتبع الرب ، هل أعوزه شئ فى كل أيامه التى عاشها حتى بلغ ١٠٥ سنة ؟ إسألوا الأنبا بولا أول السواح الذى ترك العالم والأقرباء والميراث ، إسألوا الغرباء الصغار مكسيموس ودوماديوس اللذين تركا الملك والغنى والكراسى .

لقد أوصانا الرب بالبعد عن إهتمامنا الباطل بالعالم [لاتهتموا] من أجل التطلع للحياة الأبدية [إهدنا إلى ملكوتك] ، لأنه من منا إذا إهتم يقدر أن يزيد عن قامته ذراعاً واحداً ، لأنكم أنتم الذين لا تعرفون أمر الغد ، لأنه ما هى حياتنا ؟ إنها بخار يظهر قليلاً .. فلا تكون أفكارنا مرتبطة بالأرضيات ، نعمل ولا نهتم ، ينصب إهتمامنا على ما هو أعظم لأجل بلوغنا الحياة الأبدية الدائمة .

وتمتعنا بالأحضان الأبوية فى هذا الصوم يجعلنا نتدرب على الإتكال والتسليم ويقينية الإيمان والرجاء الذى لا يخزى.. أحياناً كثيرة نكتئب ونحزن ونرتبك وننسى إننا فى يد الله الذى يحوط على كنيسته بسور من نار ، وأعطاها الوعد الإلهى أن

كل آلة صورت ضدها لا تنجح وكل لسان يقوم عليها فى القضاء تحكم عليه ، وإنه هو فى وسطها فلا تتزعزع إلى الأبد ، وتعلمنا الكنيسة فى تقليدها الليتورجى أن نصلى فى تسليم كامل له [إقتنا لك يا الله مخلصنا لأننا لا نعرف آخر سواك إسمك القدوس هو الذي نقوله فلتحيا نفوسنا بروحك القدوس] .. فلنتأمل طيور السماء التى يقوتها الآب السماوى ، واثقين إنه يعلم إحتياجاتنا ، فالإرتباك بالأمور المنظورة هو نصيب من بلا رجاء فى الحياة العتيدة ، والذين بلا مخافة من جهة الدينونة المقبلة .

الأحد الثانى من الصوم الكبير — أحد التجربة (مت ١:٤ – ١)

فى هذا الإسبوع تقودنا الكنيسة لندرك مفاهيم التجربة وأعماقها ، هدفها تنقيتنا ، ووسيلتها روح القضاء والإحراق ، ونتيجتها مجد الداخل المخفى... وبالتوبة التى هى روح القضاء ودينونة النفس ، وبالجهاد ضد الخطية الذى هو روح الإحراق ، تتحول النفس إلى مجد العروس التى جاهدت وتعطرت وتزينت وإغتنت بأسرار الكنيسة والأنجيل وعمل الروح القدس ، فلا ندع التجارب تفقدنا بركة الصوم والتوبة ، وتعطل رحلة الصوم ، لأن الصوم هو ميعاد طلب الثمر الجيدالعنبالصالح..

إنه وقت الصراحة فى الإيمان ، فعندما يوجد صراع متزايد من المُجرِّب يلزمنا أن نصوم حتى يقوم الجسد بالواجب المسيحى فى حربه ضد شهوات العالم بالتوبة وحث النفس على النصرة فى إتضاع ، لذلك نقول فى المديح [لأنه مخادع ولعين والساهرين لا سلطة له فيهم ، بل فى ذوى اللهو المتغافلين وسط أشراكه يرميهم] .

ولأن البرية [برية سيناء] كانت برية تجارب إنتصر فيها الشيطان ، لذا ففى

العهد الجديد أخذ المسيح إلهنا شعبه [كنيسته التى هى جسده] وجاز به غالباً الشيطان محطماً قوته ، وصار ذليلاً مطروداً .

الشيطان الأفعوان المتمرد جلب علينا الخطية وجعل الموت والفساد يسودان الأرض .وأما المسيح فقد جاء لكى يجعلنا به وفيه نربح الغلبة ونفوز بالنصرة من حيث إنهزمنا وسقطنا فى آدم ، لقد تقابل على الجبل رئيس الخطية مع رب المجد يسوع فلنتهلل ولنسبح مرنمين لإلهنا ومخلصنا المسيح إبن الله ، ولنطأ الشيطان والحية تحت أقدامنا رافعين صوت الهتاف والنصرة لأنه الآن قد طُرح وسقط ، لنتهلل فرحين لان الثعبان الماكر والحية المختالة قد أمسكت في فخ لا فلات منه لان النصرة لحسابنا و حقا كان لائقا بذاك الذي جاء ليحل مرتنا بموته ، ان يغلب ايضا تجاربنا بتجاربه ويقول القديس انبا مقار (ان اول العصيان كان من ادم فى الفردوس بسبب شهوة الطعام ، وأول الجهاد من سيدنا المسيح في البرية فى الصوم.. فصرعوا مع المخلص لتتمجدوا معه و تغلبوا الشيطان) .

ويقول الانبا يوساب الابح (أتانا الابن الوحيد وأول درس عمله وعلمه لإنارة طريق الخلاص ليعتقنا من السقوط الذى لآدم بشهوة الاكل ، هو إنفراده فى البرية أربعين يوماً) .

(أما يسوع فرجع من الاردن ممتلئاً من الروح القدس)

إمتلاؤنا من الروح القدس هو قوتنا فى مواجهة تجارب الشيطان ، لقد انعم علينا سيدنا بإمتياز البنوة وصرنا شركاء الطبيعة الإلهية ، لسنا بعد اولاداً للحم والدم بل ندعوه بالحرى أبانا السماوى وصار هو بكراً لنا بين إخوة كثيرين نحن الذين قد شابهناه ، وهو قبل على نفسه فقرنا وقبل ان يتقدس بالروح القدس مع انه هو مقدس كل الخليقة ولم يرفض ان يصير انساناً من أجل خلاص وحياة الكل ، بل قد صار شبيهاً لنا فى كل شئ ما خلا الخطية .

● كيف إمتلأ المسيح من الروح القدس وهو مانح الروح القدس ؟

قد صار جسداً أى إنساناً غير محتقر لمسكنتنا بل لكى نغتنى نحن بما له فصار شبيهاً لنا فى كل شئ ما عدا الخطية وحدها ، لقد قبل أن يتقدس كإنسان من اجلنا وهو الذى يقدس الكل كإله وحل الروح القدس عليه كالتدبير لأجل إنسانيته .

● لماذا صام المسيح وهو غير محتاج للصوم ؟

لقد صام ليضع نصب اعيننا اعماله قدوة لنا وليؤسس سر النصرة والغلبة وطريقة سكن البرارى ، لأن بهذا يُغلب.. وهكذا وضع نفسه لنا مثالاً يُحتذى به ، فهو صام عنا ولأجلنا وانتصر لنا لننتصر به ، مؤسساً بصومه سر اللاهوت النسكى والحياة الرهبانية ليلهمنا الطريق الذى نسلك فيه ، وفى الواقع نحن فى المسيح فزنا بكل هذه البركات ، فالسيد يظهر بين المجاهدين بينما هو كإله يمنح الجائزة للفائزين ويبدو بين اللابسين الاكاليل بينما هو الذى يضع الاكاليل على رؤوس الغالبين مكللاً بالمجد كل أحد ونحن فيه قد ربحنا كل شئ لحسابنا ، لقد غلب وأفحم خبث الشيطان لذلك يدعونا القديسون دائماً أن نثبت أنظارنا على مسيح البرية كقائد لنا فى حياة النسك .

فيقول مار اسحق "ان المسيح يتقدمنا بنفسه فى هذا الموكب النسكى صائماً معتزلاً مصلياً" .

وقد أنطبعت روح الاباء هذه فى صلوات الكنيسة فلا زالت الكنيسة فى عبادتها الليتورچية أثناء الصوم تثبت أنظارنا فى المسيح كقائد ناسك مظفر (تعالوا وانظروا مخلصنا محب البشر الصالح صنع فعل الصوم مع عظم تواضعه وعلمنا المسير لكى نسير مثله) ذكصولوجية الصوم المقدس .

● كيف يجوع السيد المسيح مع انه هو الذى يعطى طعاماً للجائعين ؟

جاع أخيراً مع انه هو الذى طعاماً للجائعين وهو الذى يشبع كل الجياع ببره بل هو نفسه الخبز النازل من السماء ولكنه من جهة اخرى لم يرفض فقرنا فكان

يليق به ان لا يترفع عن أى شئ يتعلق بمسكنتنا الانسانية الضعيفة ، من هنا قيل انه جاع.. فهو اخذ الذى لنا واعطانا الذى له ، وهو الذى أفتقر وهو غنى لكى نستغنى نحن بفقره {٢ كو ٨ : ٩} لقد جاع ليؤكد حقيقة ناسوته فهو جاع معنا ولنا ليعطينا الشبع والغنى ، وبنفس هذا الجوع انتصر على الشيطان ، فلم يصعد [الى البرية] كمن هو ملزم او من هو اسير إنما صعد بإشتياق الى المعركة ، وان كان الشيطان يذهب الى الإنسان ليجربه، إلا إنه لا يستطيع ان يهاجم المسيح ، لذا ذهب المسيح اليه .

قال إبليس : توهم إبليس ان ألم الجوع سيحقق مقاصده الشريرة وقال له (ان كنت ابن الله فقل لهذا الحجر ان يصير خبزاً) وهنا الشيطان يجرب المسيح كأنه إنسان عادى أو كواحد من القديسين لانه كان مرتاباً فى ان يكون هذا هو المسيح ، فأراد المحتال الماكر ان يتحقق من إلوهيته المسيح معتبراً ان تحويل طبيعة أى شئ سيكون من عمل وفعل قوة الله وقدرته ، وعلم المسيح دهائه وحيله الماكرة فلم يحول الحجر خبزاً (كما حول الماء فى عرس قانا الجليل الى خمر) وصد إلحاح الشيطان وفضوله قائلاً (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان) .

• ماذا ربحت البشرية من تجربة المسيح الأولى ؟

بشهوة الأكل انهزمنا فى آدم وبالتعفف والصوم فى المسيح قد غلبنا وانتصرنا ، أن الأنسان الأول إذا أطاع بطنه لا الله طُرد من الفردوس ، لان الطعام الذى ينبت من الأرض يقوت الجسد اما الروح فتتغذى بكلمة الله ، فالأرض تغذى الجسد الذى هو منها أما الروح فقوتها كلمة الله والخبز الروحى الذى يشدد قلب الانسان .

فالنفس الناطقة العاقلة غذائها معرفة الكلمة [اللوغس] لقد أراد الكذاب أن يوهم البشرية أن حياتها كلها لا تقوم إلا بالطعام ولكن الرب علمنا أن الحياة لا تقوم إلا فى الأبن فى شخصه و ده .

• أراه جميع ممالك المسكونة

وقف الشيطان الماكر ليرى الرب كل ممالك المسكونة (هذه كلها لى فإن سقطت وسجدت لى أعطيها لك) ، لقد اغتصب احتيالاً ممالك الله ، لقد قال اشعياء النبى (هل اعد ذلك لكى تملك ؟ انها بحيرة عميقة ، نار وكبريت وحطب مُعد ، غضب الرب كبحيرة متقدة بنار وكبريت) {أش ٣٣ : ٣} فكيف يتسنى له وهو الذى نصيبة النار التى لا تطفأ أن يعطى السيد المسيح الممالك التى له ؟ فكيف ان الذى تسجد له الكراسى والارباب سيسجد لهذا المنجوس ! انه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد ، وهكذا اصابت هذه الوصية من الشيطان مقتلاً وهو الذى خدع كل الذين تحت السماء . . لقد بكّت السيد المسيح العدو الشيطان على تضليله العالم وعلى جعله الكل يسجدون له ، وبهذا وضع حداً نهائياً لعبادة الشيطان ، هكذا غلب وإنتصر لحساب البشرية كلها .

• إن كنت إبن الله فإطرح نفسك من هنا إلى أسفل

وهى تجربة " المجد الباطل " فهو يسأل عن برهان الألوهية ، فأجابه الرب (إنه قيل لا تجرب الرب إلهك) لأن الله لا يسعف الذين يجربونه ولا يعطى المعونة لهم بل للذين يؤمنون به ، من أجل ذلك لم يعطى المسيح أية قط للذين يجربونه . (جيل شرير وفاسق يطلب أية لا تعطى له أية) {مت ١٢ : ١٩} .

وهكذا فقد غلبنا فى المسيح وفزنا بالنصرة فيه ، ورجع إبليس بالخزى الذى غلب آدم وتمكن فيه قديما ، وقد ذهب الآن خائباً لكى ندوسه تحت الأقدام لأن المسيح الذى صام عنا ومن أجلنا وجُرب لينتصر لحسابنا ، غلب وسلمنا القوة لنغلب وأعطانا القدرة على النصرة والإمكانية على الغلبة ، إنها علاقة كيانية حميمة إتحادية لأننا فى المسيح الذى قال (ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو) {لو ١٠ : ١٩} وهنا نرى أن الشيطان يستخدم آيات فى حروبه معنا ويستخدم كلام الكتاب لكى يخدعنا ويقولها مُريداً ان يُسقطنا.

• ورجع يسوع بقوة الروح الى الجليل

لقد سكن الرب البرية وصام عنا وجُرب من الشياطين وهناك فاز بالنصرة لنا ،

وسحق رأس التنين ، لقد ساد على الشيطان ووضع الاكليل على طبيعة الانسان في شخصه المبارك بالغنائم التي اغتنمها بنصرته . ثم عاد الى الجليل ليمارس سلطانه وقوته ويجرى العجائب ويصنع المعجزات لانه ابن الله . لقد إنهزم الشيطان وغُلب من المسيح في ثلاث مواقع التجربة على الجبل ويسوع لم يكن وحده يُجَرَّب . بل كان لابساً جسدنا متحداً بنا ، كنا فيه ومعه وحين ندخل التجربة اليوم لا ندخلها وحدنا ، هو يُجَرَّب معنا وفينا ، يقول الكتاب (ولما اكمل ابليس كل تجربة فارقه الى حين) أى ليستانف التجربة معه فيما بعد ، وهو يتقدم الينا يمجد اسمه فينا فحين يجربنا الشرير لا يكون هدفه ان يهزمنا فقط بل ان يُعير المسيح الغالب والساكن فينا فنحن في الجهاد والحرب مع الشيطان لا ننتصر بقوتنا بل بإسم رب الجنود الذى يحارب معنا وهو المُجرب فينا والمنتصر لحسابنا ايضاً ولا يمكن ان تتم النصرة إلا إذا إختبر الانسان الفداء وإقتنى المؤمن قوته من سر التناول ، ليمضى المؤمن ويقول للسيد المسيح (تقدم انت) (تث ٥ : ٢٧) وواجه هذا التعيير ، وإنتصر معى ولحسابى ، وكل تجربة هى إمتحان لبنوتنا لله ، فلنحترس إذن لاننا ابناء الله.. وتعلمنا الكنيسة انه لن يكون الصوم بالامتناع عن الطعام بقدر ما يكون بالشبع الروحى من طعام الحياة جسد الرب ودمه لان ملكوت الله ليس اكلاً ولا شرباً ، وليست العبادة مظاهر اجتماعية او إستعلاء على الآخرين ، نحن كخدام نخدم في القرى والاحياء النائية علينا في هذا الصوم ان نرصى من نخدمهم بضرورة وحتمية التقدم للاسرار الالهية خلال فترة الصوم ، علينا ان نقدم المسيح الذى فيما هو مجرب قادر ان يعين المجربين ، وان ننقل الحياة الكنسية للقريين من خلال العظات والكلمات وتحفيظ الترانيم وبدائع الصوم الكبير ليشبع الجميع بالروح ولنعلم ونعيش واثقين ان غلبة آدم الثانى ربنا يسوع المسيح لعدو جنسنا الشيطان تمت للانسانية المتألمة لتصير خبرة حياة كل مؤمن بالمسيح ويقبل كلمة البشارة ، وهذه هى صورة آدم الاول النفسانى الترابى الذى هو علة السقوط وآدم الثانى المحيى السماوى الذى هو موضع النصرة ، ان تجارب الشيطان توجه بالاكثر ضد الذين تقدسوا ، لانه يشتاق بالاكثر ان ينال النصرة على الأبرار.

ويعلمنا السيد المسيح ان لا ندخل فى حوار مع الشيطان لان آدم الاول ضل وإنهزم بسبب دخوله فى حوار مع الشيطان الذى خدعه هو وحواء برجاء كاذب وأقصاهم عن الخيرات الحقيقية ، ولكن المسيح رب المجد آدم الثانى رفض مشورة الشيطان – مع ان فى قدرته ان يفعلها – حتى يعلمنا ان نرفض فعل أى شىء إرتجالاً اوعبثاً.. ونعلم ان المسيح كان حريصاً على إخفاء لاهوته فى حواره مع الشيطان ، لقد إتخذ المسيح جسد طبيعتنا واتحد بنا فى علاقة حياتية حميمة كيانية وليس هناك من سبيل على الإطلاق للتمتع بكنوزه المذخرة لنا إلا بالتلامس الإختبارى معه ، ان السيد المسيح صام عنا ولأجلنا وما تم فى التجربة إنما هو لأجلنا ولكى يعلمنا (تعلموا منى) انه ليس تعليم الدرس والتلقين ولكن تعليم الخبرة والممارسة والتذوق والتلامس والإختبار ، ولابد ان نتلامس ونمارس ونختبر ليصير التعليم حياة وخبرة فعالة نعيشها لأن يسوع صام عنا وأربعين يوماً وأربعين ليلة ولانه يهدف الى تعليمنا من كل ما عمله واجتازه.. نعم اننا نحمل الاسلحة لا لنكون عاطلين بل لنحارب بها ، فصوم الرب اربعين يوماً يدلنا على أدوية الخلاص ، وأصر المسيح على أن لا يصوم اكثر من موسى وايليا لئلا نشك فى أنه أخذ جسدنا (جسد مثلنا) ولقد سمح المسيح لنفسه أن يجرب وهو ابن الله لكى يعيننا فننتصر فى التجارب ليس فقط بقدرتنا ولكن بمعونته وقدرته (لأنه فى ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين) (عب ٢ : ١٨) لقد إحتمل ان يُجرب من الشيطان لكى نتعلم فيه كيف نظفر به ، لقد جاع فى البرية حتى ما يكفر بصومه عن الطعام الذى ذاقه آدم الأول بعصيانه ، فلنتبع إذن آثار خطواته ونحن نعبر من البرية الى الفردوس ، فالآن ها هو المسيح فى البرية يدفع الانسان اليها ليعلمه ويشكله ويدربه ، لنتعلم ان نغلب فى المسيح ما سبق ان غُلِبَ به آدم.. انظروا اسلحة المسيح التى ظفر بها لاجلنا ، انه لم يستعمل قوته كإله لانى ماذا كنت أفيد من ذلك ! وهو قد اظهر ايضاً فى نفس الوقت بقوله (ليس بالخبز وحده يحيا الانسان) انه تَجَرب بالجسد الذى أخذه منا وليس بالوهيته ، لنحذر من شهوة البطن ومن تجربة الافتخار وسرقة مجد الله ولنهرب من كل ما هو تحت سيادة ابليس وعبوديته المرة ، لقد قام لنا السيد نفسه نموذجاً لمصارعة تجارب ابليس والانتصار عليه فى تجربته المثلثة على الجبل ، وهو الآن يغلب عدو الخير الذى يحاربنا عندما يقف بجوارنا يقوينا ويسندنا فى تجاربنا ، ولا ننسى ان عدو الخير

لم ييأس من فشله هذه المرات الثلاث امام المسيح لكنه تركه الى حين ، ان الرب اعطانا في تجربته على الجبل كيف نستطيع ان ننتصر ، فهو قائدنا الذى سمح لنفسه بالتجربة حتى يعلمنا نحن اولاده كيف نحارب العدو الشرير ، لقد غلب تجاربنا بتجاربه ، وذهب المسيح الى الشيطان بحسب قول القديس يرحنا فم الذهب ، فالمعركة ضد ابليس من اجلنا ولحسابنا ، فالمسيح صام ليقدس اصوامنا بصومه كالام التى تتذوق الدواء امام طفلها المريض حتى يشرب منه ، من اجل هذا تقدس الكنيسة هذا الصوم بكونه قد تقدس بصوم السيد نفسه ، وتقدم موضوع التجربة فى قراءات الاسبوع الثانى من الصوم لتعلن لاولادها انه حيث يوجد الجهاد تقوم الحرب وحيث توجد الحرب يلزم الجهاد الروحى.

وعلينا ان ننتبه كخدام الى التجربة الثالثة التى تمس العبادة ذاتها لان العدو يقدم لنا كلمات الكتاب مشوهة ليحول عبادتنا وخدماتنا الى شكليات واستعراضات ورياء حتى عرض ان نصعد منطلقين نحو السماويات ننطرح من جناح الهيكل الى اسفل لان الشكل والرياء تحولُ عن الغاية الحقيقية التى هى خلاص نفوسنا والذين يسمعوننا ايضاً.. لقد انتصر المسيح لحسابنا ، لندوس العدو بالاقدام ولنسهر اذن على خلاص انفسنا ، والمسيح الهنا الذى غلب العالم والشيطان يحفظنا بلا لوم لحين ظهوره... بصلوات حبيبنا البابا المكرم الانبا شنودة الثالث .

٥٥ الأحد الثالث للصوم الكبير [أحد الإبن الضال] [لو ١٥ : ١ - ٣٢]

تركز الكنيسة فى هذا الاحد على قصة الابن الضال ، لتُرينا حنان الاب ، وخطايا الابن وتوبته ، فتلك القصة تكشف لنا عن قلب الأب المحب الشفوق ، الذى يشتاق الى رجوعنا ، وترينا الارض الضيقة حيث الجوع الروحى والظلام وعيشة الغربة عن الله ، حيث ارض الخنازير ، وثمار الخطية ، ونلتفت فى هذه القصة إلى التوبة والرجوع والخضوع للأب والتلمذة للوصايا الالهية والشهادة لعمل نعمة المسيح ومخافة الرب وحياة القداسة حيث فرح التوبة (ينبغى ان نفرح) [لو ١٥ : ٣٢] ، (وتفرح الملائكة) [لو ١٥ : ٧] ، وحياتنا بلا توبة هى حياة خالية من الفرح.

ومن اخطر ما يواجهنا احساسنا مع الابن الضال اننا فهماء وحكماء ، لكن هل تفتخر الفأس على القاطع بها او يتكبر المنشار على مردده ! [اش ١٠ : ١٥] ، من اخطر ما يواجهنا قساوة القلب والإرتباك الباطل والاستهتار ، فنقول لله اعطنى لاعمل جميع ارادتى ، لذلك تركز الكنيسة فى الاحد الثالث على (بر الآب للخطاة الراجعين الذى يفوق البر الذاتى لمن يظنون فى انفسهم انهم ابرار) ، وها عقوق الابن يقابله رحمة الآب ، وبر الابن الاكبر لم يجعله يفرح بعودة اخيه الاصغر الذى لا بر له إلا بالآب.

هذا المثل غنى للغاية بمعانيه ، ويتضمن جوهر روحانيتنا المسيحية ، فكثيراً ما نتحول عن الطريق ونمضى الى كورة بعيدة ، لقد كان الابن الاصغر المذكور فى الانجيل يعتبر الله "شىء" ، وهذه هى خطيتنا ، ان نصير نحن مالكين لانفسنا ونتحول عن الله سر الحب ، ونمضى الى الارض حيث خداع العالم والاباطيل والغواية وتعظم المعيشة ، ولكن ما ان فحص الابن الضال نفسه وجهاً لوجه (محاسبة النفس) ، وبدأ ينظر الى داخله ، بعيداً عن كل اغراء او جذب ، خلواً من خداع وحيلة واصدقاء السوء ، حيث ظن ان فى البعد هناك الحرية ، تلك التى افقدته حياته وجعلته شريداً بلا مأوى او دفء حتى قام وترك خلفه كل السقطات ، ومضى الى بيت ابيه وعقد النية ان يلقى بنفسه عند اقدام مراحمه ، تلك الابوة التى تكرر ذكرها خمس مرات فى مثل الابن الضال .

ان اول كلمة نطق بها الابن البعيد ، عندما عاد "ابتداء" لقد تذكر ان حب ابيه له قد وُهب له مجاناً ، وان كل حب وصلاح وبركة ونعمة ومحبة مصدرها هذا الحب الابوى ، تلك الابوة التى اعطته الرجاء وجعلته يسرع الى بيت ابيه (الكنيسة) ، وفى هذا الاسم (اسم ابيه) يكتشف طبيعة توبته الحقيقية ، لان التوبة الحقة تمزج رؤية الانسان لخطاياه مع ضمان الغفران ، لان مراحم الله لا تفتر ، هى جديدة فى كل صباح وهى من دور وإلى دور ، لانه لا يشاء موت الخاطى مثل ما يرجع ويحيا .

وعودة الابن الضال الى بيته ، هى عودتنا الى بيتنا الكنيسة امنا جميعاً ، حيث تطهيرنا بسر الاعتراف (يا ابى ، اخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن ادعى لك إبنا !! إجعلنى كأحد اجرائك) ، فمع التوبة والرجوع (الميطانيا) يكون الاعتراف والاقرار بالخطايا التى جاهد لنقلع عنها فى سرالتوبة والاعتراف ، وعندئذ نأخذ عطية المغفرة...

وعندما نقترب من البيت (الكنيسة) ، يرانا الاب السماوى ويقابلنا ويُقبلنا ، فكم من المرات وقف ينتظرنا مراقبا عودتنا الى بيته ، ونحن عائدون ممزقون تعترينا الكآبه والغم مُحملون بماضٍ مخجل...

انها العودة الي الحياة بعيدا عن الظلمة الخارجية ، حيث نلبس الحلة الاولى والخاتم فى ايدينا والحذاء فى ارجلنا ، تلك الحلة الاولى التى يقول الاباء انها المعمودية التى كثيراً ما نسلك بعكس نذرها ودعوتها ، وننسى اننا قطيع صغير واننا خميرة واننا نور واننا ملح واننا سفراء واننارائحة المسيح الذكية .

تلك العودة الى بيت الآب السماوى بعد فترة التشرد التى فصلته عنه ، جعلته يأخذ الخاتم الذى هو ختم الكفالة والضمان ، يضع حذاء فى رجليه حتى يتنعل "بإستعداد انجيل السلام" ، وما العيد الذى تعيد إلا عيد القيامة عيد الحياة الابدية عُرس الحمل عُرس الملكوت ، فالابن البعيد رجع الى احضان ابيه رجع الى بيته حيث الخلاص وملكوت المحبة ، وحيث البيعة المقدسة التى تنادى البعيدين وتبحث

عن الضالين ، ليستيقظوا ويستنيروا ويرجعوا ، فالوقت وقت مقبول وزمن خلاص ، يفرح به كل راجع ياكل ويشرب من عطايا العريس ، وينعم بالخلاص ، وهو ما نعبر عنه فى مديح هذا الاسبوع عندما نقول :

(قوموا يا كهنة هيئوا الحلة ، ليلبسها ابنى ويتحلى ، المعمودية هى الحلة وهى اول الخيرات ، كللوا ابنى باكاليل النور والبسوه خاتماً من ذهب وفير ليكون بختم الروح مستور محروساً من كل الزلات) .

واحدة هى الحلة للآخرين والاولين واحدة هى لله ، وواحدة هى الحلة التى تعطى للمعتمدين داخل الماء ، واحد هو الذبيح الذى تطهر به جميع الخطاة ، وبخاتم واحد يختمون خزان بيت الله ، واحد هو حذاء العروس التى صعدت من داخل الماء ، حذاء النور الذى تدوس به الحيات ، الاب المتحنن بسط مراحمه عن الخطاة.

ورجوعنا الى الآب السماوى يأتينا من واقع الرجاء واليقين والثقة ، وما نعرفه عنه وما نلمسه فيه ، فحتى لو فقدنا امتياز بنوتنا ، هو لا يفقد شيئاً من ابوته ، فمحبته الحانية هى التى تتوسط وتتوسل وتلح فى اعماقنا ، ان احشاءه الابوية هى التى تدفعه ان يتبنى من جديد ، ويصدر الصفح الكامل ويستر ، وبدلا من ان يقاضى غلبت عليه ابوته وحكم على الفور بالبراءة هذا لانه يود رجوع الابن لا هلاكه ، وبدلا من ان يعطى عقوبة يقدم قبلة ، فقوة المحبة لا تقيم وزناً للخطية ، بقبلته يغفر ذنوبنا وبعواطفه الابوية يغمرنا ، هو لا يفضحنا ولا يشهر بنا ، بل يضمد جروحنا تماماً حتى لا تترك اثر او عيب (طوبى لمن غفرت اثمه وسترت خطيته) [مز ٣٢ : ١].

ونحن ايضاً فى احد الابن الضال (الأحد الثالث من الصوم الكبير) ، علينا ان نتمتع بعفو الآب ، مهما كان افلاسنا الروحى المطلق ، فلنقم مهما كانت حالتنا ، ولنرجع الى من هذه ابوته متشجعين بهذا المثال ، (واذ كان لم يزل بعيداً رآه ابوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبّله) إني اسأل : أى مكان هنا لليأس ؟ او أى

مجال حتى للإعتذار او مظهر للخوف ، إلا إذا كنا نعتقد عكس محبته الابوية ، ذلك الفكر المضاد لخلاصنا.

لقد فتح المسيح لنا بهذا المثل باب السماء امام الخطاة وكشف عن فرح الآب الشديد وسروره برجوعنا ، وهو ما نعبر عنه فى مديحة الاسبوع الثالث من الصوم :

طبيب النفوس والاجساد	إحتضنه وفى حبه زاد
عندما رجع له باستعداد	انعم عليه بكل البركات

وبدون البنوة لا تكون توبة ولا رجاء ولا حياة ولا رجوع ولا تمتع باحضان الآب لذلك فالمعمودية هى بنوتنا لله واساس توبتنا ،ولذلك يعلمنا الآباء ان التوبة معمودية ثانية ، ولكننا عندما نتغرب ونبعد ونذوق الخرنوب نخسر انفسنا ، ولكن مراحم الله الالهية جديدة وهى من دور والى دور ، هذه تعبيرات بلغة بشرية عن امور الهية لا توصف ، لذلك نصلى [ليس شىء من النطق يستطيع ان يحد لجة محبتك للبشر] ، فهو لا يطيق ان يرانا فى ذل وعبودية ، وعندما يرانا قادمين اليه فى ثياب الخطية يغلب عليه تحننه وتغلبه محبته ، ويقبلنا بقبلات فمه لان حبه اطيب من الخمر ، ويحترينا فى احضانه ويلبسنا ثوبنا الاول معموديتنا الطاهرة ونقاوتنا الاولى وذكرنا البسيط ، يعطينا بره كثوب ليكسونا بعد ان عرانا العالم والخطية ، نخلع ثوب الخزى ونلبس ثوب الكمال لابسين المسيح ، يلبسنا خاتم مسيحه لنعمل بعد للملكوت والحياة الابدية ، ولنخدم عمل الحصاد ، يلبسنا خاتم القداسة لنعمل عمل الرب بقوة وبدون رخاوة ، خاتم الخطبة والملكية عوض المسمار الذى فى يد المسيح ، كم هو ثمين هذا الخاتم ، الذى ما هو إلا كلمة الله ، أما ارجلنا التى ادمتها اشراك الخطية فقد لبست استعداد انجيل السلام بعد ان صارت مغسولة بيد المسيح الهنا ، فلا تعرج فى السير بل تبقى محفوظة من الزلل ، ويالى فرحة السماء ، ويالى وليمة الآب (الذبيحة) ذبيحة الفرح وطعام الحياة الابدية ، التى بها نُفَرِّح قلب الآب بتوبتنا وبرجوعنا ، بعد ذل الكورة البعيدة ، نتمتع بأحضان الآب وذبيحة ابنه يسوع وفرح السمائيين الغير موصوف ، فنكون ألفاء معه .

• الاحد الرابع للصوم الكبير [احد السامرية] [يو ٤ : ١ - ٤٢]

يُقرأ انجيل السامرية [يو ٤ : ١ - ٤٢] فى كنيستنا ثلاث مرات فى السنة القبطية الليتورجية : فى الاحد الرابع من الصوم الكبير ، والاحد الثالث من الخماسين المقدسة ، والسجدة الثالثة يوم عيد العنصرة.

ونترنم فى المديحة التى نصلى بها اثناء التوزيع فى القداس الالهى للاحد الرابع [رب الجيوش العلوية اتضع و اخذ جسم انسان وتكلم مع المرأة السامرية قال لها اسقينى فانى عطشان] ، عندئذٍ نتطلع الى المسيح رب المجد ينبوع الماء الحى الذى كل من يؤمن به تجرى من بطنه انهار ماء حية ، فتتحول حياتنا كما كان مع تلك السامرية التى اخبرت اهل السامرة انظروا انسان قال لى كل ما قد فعلت ، من خاطئة الى كارزة ومبشرة لكل اهل السامرة.

ومن اجل ربح السامرية ، تكلف الرب رحلة مشقة وتعب احتملها من اجل السرور الموضوع امامه ، لذلك فى كل مرة ندخل فيها الكنيسة نتلاقى مع المسيح ، وفى كل وقفة صلاة وقراءة انجيل نشبع من الينبوع الحى ، وليس من العجيب ان نرى ربنا يسوع المسيح هو البادى بالحديث مع السامرية لانه ينبوع كل عطية صالحة وكل موهبة تامة ، وهو يسعى الينا (اعطينى لاشرب) ، يعطش لنفوسنا ويجوع لخلاصنا .

ولننظر مجرد نظرة بالروح للنفوس التى حولنا ، سنجدها حقولاً ابيضت للحصاد لا تحتاج الى جهد لان آخرين تعبوا ونحن دخلنا على تعبهم ، نفوس ناضجة تحتاج الى لقاء مع المسيح ، تحتاج ان نقدمه لها ، فقط يلزمها حصادين وخادمين مثمرين لكى يفرح الذين زرعوا والذين حصدوا.

• « كان يسوع قد تعب ».

يسوع فى طريقه الى الجليل كان لابد ان يجتاز السامرة فأتى الى سوخار ، فإذا كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر ، وكان نحو الساعة السادسة [١٢ ظهراً]. هنا تبدأ الاسرار ، لانه لم يكن بدون هدف ان يتعب المسيح : قوة الله التى بها يستريح المتعبون تصير منهكة ، كيف يتعب ذاك الذى بدونه نصير متعبين ، وفى وجوده نتقوى ونتشدد ؟!

انه لاجلك قد تعب رب المجد من السفر اليك ، وها نحن نراه قوياً وضعيفاً متعباً : قوى لانه كلمة الله الذى (كل شىء به كان وبغيره لم يكن شيئاً مما كان) {يو ١ : ٣} ، إذن فمن يكون اقوى منه ؟ لذلك فان كانت قوة المسيح هى التى خلقتك ، فضعفه هو الذى اعاد خلقتك من جديد ، قوة المسيح اوجدتك من العدم وضعف المسيح وهبك الخلود ومنع عنك الهلاك الابدى.

لقد اخذ يسوع على عاتقه ان يتعب فى رحلته اليك بعد ان اخذ جسد وان كان هو قد صار ضعيفاً بالجسد فلا تصر انت ضعيفاً بل تقوى فى ضعفه لانه مكتوب : (ضعف الله اقوى من الناس) {كو ١ : ٢٥}.

● **الكنيسة كلها ولدت من جنب المسيح المطعون :**

ان آدم فى وقت ضعفه ، وهو نائم ، وُهِبَت له زوجة من احد ضلوع صدره ، هكذا المسيح وهو مطروح على الصليب ، وبعد ان رقد "باكورة الراقدين" وخرجت نفسه من جسده ، أى فى اكثر حالات ضعفه على الاطلاق ، خرجت عروسه ، الكنيسة ، من جنبه المفتوح الذى طُعن بالحربة ، أى خرجت السرائر التى تمارسها الكنيسة لخلاص الانسان وحياته من جنب آدم الثانى وهو مستسلم للموت مثل اضعف مخلوق. إذن فضعف المسيح هو الذى يجعلنا اقوياء !

لقد تعب المسيح وبإتضاعه جاء الى البئر ، جاء متعباً لانه حمل جسداً ضعيفاً ، والى بئر أى عمق ارضنا هذه التى نحن نسكنها ، ولهذا قال المزمور : (من الاعماق صرخت اليك يارب) {مز ١٣ : ١} ، وجلس هناك بسبب اتضاعه.

● **ماذا يعنى الرب بقوله : إدعى زوجك ؟**

فلنستفسر إذاً عن زوج النفس ، لماذا لا يكون السيد نفسه هو الزوج الحقيقى للنفس ؟ إن ما نريد ان نقوله لا يدركه إلا المنتبهون جيداً !! إذاً يا اخوتى ، ان تكون لنا نفس ولا يكون لنا فهم ، اى أن لا نستخدم هذا الفهم او لا نعيش طبقاً له ، فهذه حياة حيوانية. إن السامرية لا زالت مخطئة إذ لا زالت تفكر فى هذا الماء الزائل ، فى حين ان الرب كان يكلمها عن الروح القدس ، ولماذا كانت مخطئة إلا لأنها لم يكن لها زوج بل عشيق ؟ فتجردى إذا من هذا العشيق الذى يفسدك ، و"اذهبى وادعى زوجك" ، ادعه وتعالى لتفهمى !

● **السجود لله بالروح والحق :**

لذلك (صدقينى انه تاتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى اورشليم تسجدون للآب انتم تسجدون لما لستم تعلمون ، اما نحن فنسجد لما نعلم ، لان الخلاص هو من اليهود . ولكن تاتى ساعة) متى؟ (وهى الان) اية ساعة ؟ (حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق ، لان الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له) ذلك لان (الله روح) ، فلو كان الله جسداً لكان بالحق يرغب ان يُعبد فى مكان مادى كالجبل او الهيكل ولكن(الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى ان يسجدوا).

قد تقول فى قلبك "الا اطلب جبلاً عالياً منفرداً ؟ لاننى اعتقد ان الله لكونه فى الاعالي فهو يسمعنى بالاحرى من مكان عال" الأنك على جبل عال فانت تتصور انك قريب من الله ، وإنه سيسمعك سريعاً لانك تدعوه من مكان قريب اليه ؟ حقا انه يسكن فى الاعالى ، ولكنه ينظر الى المتواضعين (قريب هو الرب) ممن ؟ (المنكسرى القلوب) (مز ١٨:٣٤) ، (الرب عال ويعاين المتواضعين ، اما المتكبرون فيعرفهم من بعد) {مز ٦:١٣٨} وبقدر ما يكون الرب اقل قربا من المتكبرين بقدر ما يرون انفسهم مرتفعين ! أتبحث عن جبل ؟ إنزل واتضع لكيما تقترب اليه . أتريد ان تصعد ؟ اصعد ، ولكن لا تبحث عن جبل : (طوبى للرجل الذى معونته

من عند الرب ، رتب في قلبه ان يصعد في وادي البكاء) (مز ٦:٤٨) والوادي هو الاتضاع ، وعلى ذلك فليكن عملك كله في داخلك ، وإذا طلبت مكانا عاليا ومقدساً ، اجعل من نفسك هيكلاً له في داخلك : (ان هيكل الله مقدس الذي أنتم هو) (كو ١٧:٣) اتريد ان تصلي في الهيكل ؟ صل في داخلك ، ولكن كن اولا هيكلاً لله ، لانه يسمع لمن يصلي إليه في هيكله ! فهو الساكن في الاعالي والناظر الى المتواضعات .

● « أنا الذي اكلمك هو » المسيا :

لقد سمعت المرأة ذلك وتقدمت خطوة ، فدعت الرب نبياً ، لقد لاحظت ان هذا الذي كانت تتكلم معه قد نطق بامور ترفعه إلى مستوي الانبياء ، فماذا كانت اجابتها ؟ (قالت له المرأة انا اعلم ان مسيا الذي يقال له المسيح يأتي ، فمتى جاء ذلك يخبرنا بكل شيء) ما هذا ؟ لقد قالت منذ قليل ان اليهود يختلفون معهم بخصوص الهيكل وهذا الجبل ! ولكن في الحقيقة ان الرب عندما يأتي سيزدري بالجبل وسيقلب الهيكل ، لانه سيعلمنا كل شيء حتى نعرف كيف نعبد بالروح والحق ، لقد علمت المرأة من هو الذي يمكنه ان يعلمها ، ولكنها لازالت تجهل ذاك الذي كان يعلمها ، ها هي قد استحقت الان ان تقبل ظهوره واعلان ذاته لها ، الان قد مُسح المسيا لان كلمة " ممسوح" باليونانية تعني "المسيح" وفي اللغة العبرية "مسيا".

قال لها يسوع : (انا الذي اكلمك هو) الان بدأ إيمان المرأة يتكون ويثبت ويسود على قلبها لكي تبدأ ان تعيش باستقامة ، وذلك لانها استدعت زوجها ، فبعد ان سمعت : (انا الذي اكلمك هو) ماذا تحتاج ان تسمع اكثر من ذلك ؟ لقد شعر الرب انها مستعدة لان تؤمن ، فبمشيئته اعلن ذاته لها (وعند ذلك جاء تلاميذه وكانوا يتعجبون انه يتكلم مع امرأة) أتتعجبون من كون ذاك الذي جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك يطلب الان نفس السامرية ؟ لقد تعجبوا من صلاحه ولم يتوقعوا منه امرٍ فيه خطية . (ولكن لم يقل احد ماذا تطلب او لماذا تتكلم معها) وللحال (تركت المرأة جرتها) بمجرد ان سمعت انه المسيا ، لانها بمجرد ان قبلت

المسيح الرب في قلبها فماذا يمكنها ان تفعل سوى ان تترك جرتها وتسرع لتبشر بهذه البشارة المفرحة ؟ لقد ألقت عنها شهواتها واسرعت لتعلن الحق ، فليتعلم من يريدون ان يبشروا بالانجيل ان يلقوا عنهم جرارهم عند البئر.

هكذا تركت المرأة جرتها التي لم تعد في حاجة اليها بل انها صارت ثقلاً عليها لانه بهذا القدر صار تلهفها على الارتواء من الماء الحي ، وإذا ألقت حملها عن كاهلها وصارت قادرة ان تُعرف الناس بالمسيح : (مضت الى المدينة وقالت للناس :هلموا انظروا انساناً قال لي كل ما فعلت) وقد جاء اعلانها لهم ودعوتها هذه بالتدريج لذلك اردفت قائلة بصيغة الاستفهام : (ألعل هذا هو المسيح ؟ فخرجوا من المدينة واتوا إليه) (وفي اثناء ذلك سأله تلاميذه قائلين : يا معلم كُلْ) لانهم (كانوا قد ذهبوا الى المدينة ليبتاعوا طعاماً) ورجعوا (فقال لهم انا لي طعام لآكل لستم تعرفونه انتم فقال التلاميذ بعضهم لبعض : ألعل احد أتاه بشيء ليأكل) إذاً فلا نتعجب من ان المرأة لم تفهم كلام الرب عن الماء فها هم تلاميذه انفسهم لم يفهموا معنى الطعام ، ولكنه علم بأفكارهم ، وهو الان يعلمهم كسيد ، ليس عن طريق غير مباشر كما فعل مع المرأة عندما كان يطلب زوجها ولكنه قال لهم مباشرة معلناً : (طعامي ان اعمل مشيئة الذي ارسلني واتمم عمله) وقياساً على ذلك فإن شرابه الذي طلبه من المرأة كان هو ان يعمل مشيئة الذي ارسله . وهذا هو سبب قوله : (اعطيني لاشرب لاني عطشان) ومعنى ذلك بالتحديد هو : أن يعمل الايمان به وان يشرب هو من ايمانها ، بل وان يطعمها في جسده . لان جسده ، هو الكنيسة.

● ها الحقول قد ابيضت للحصاد :

(اما يقولون انه يكون اربعة أشهر ثم يأتي الحصاد ؟) لقد كان الرب متلهفاً على العمل وكان يعد لارسال فعلة ، وكأنه يقول لهم "إنني اريكم حصاد آخر قد ابيضَ وصار جاهزاً للعمل".

(لذلك ها انا اقول لكم ارفعوا اعينكم وانظروا الحقول انها قد ابيضت للحصاد)

لقد كان على وشك ان يرسل الحاصدين ، (انه في هذا يصدق القول ان واحداً يزرع والاخر يحصد لكي يفرح الزارع والحاصد معاً. انا ارسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه ، آخرون تعبوا وانتم دخلتم على تعبهم). لقد ارسل الحاصدين. أليس هو ايضاً الذى كان ارسل الزُراع ؟ فالى اين يذهب الحاصدون إذاً ؟ بالطبع الى حيث تعب الآخرون "الزُراع" ، لانه حيثما وُجد تعب وجهد مبذول فلا بد ان يكون هناك زرع ، وما زُرع قد صار الآن ناضجاً ويحتاج الى منجل الحصاد وآلة الدرس ، فالى اين ينبغى إرسال الحاصدين ؟ الى حيث كان الانبياء قد كرزوا لانهم كانوا هم الزُراع. لانه لو لم يكرزوا هم الزُراع فمن اين عرفت السامرية : (انا اعلم ان مسيا يأتى) ، لقد صارت تلك المرأة ثمرة ناضجة والحصاد قد ابيض فى الحقول ويحتاج الى المنجل ولكن لاحظوا يا اخوة ما قاله الرب : (لكى يفرح الزارع والحاصد معاً) ان تعب كل منهما يختلف عن الآخر ولكنهما سيبتهجان بفرحٍ متساوٍ لان كلاً منهما سيأخذ اجراً واحداً هو الحياة الابدية ، يسوع هو مازنا ، يسعى لخلاصنا ويذهب الى البئر ، ليجعلنا خادمين معه نفعل مشيئة ابيه .

● ● الاحد الخامس للصوم الكبير (أحد المخلع) { يو ٥ : ١ - ١٨ }

عندنا ثلاث آحاد : احد المخلع ، احد السامرية ، احد المولود اعمى ، فيها شيئ اساسى مشترك هو التأكيد والتشديد على ان المسيح هو ابن الله ، ولابد ان نلتفت الى ان يوحنا الانجيلى الحبيب عندما تحدث لم يقل شيئاً عفواً ، لكنه تحدث عن المخلع وبركة الماء ، وعن السامرية وبئر الماء ايضاً ، وعن المولود اعمى وبركة سلوام ، إذن : ماء ، ماء ، ماء ، ولا حاجة بنا ان نذكر انه خلال ماء المعمودية نجد طريق الخلاص ، وفى هذه الآحاد الثلاثة يضعنا الانجيلى امام المخلص إلهاً خالقاً ، ويضعنا امام كون لايزال فى حاجة الى الخلق.

ليتنا ندرك نظرة ربنا الينا ، نظرته الرحيمة المُخلِّصة المُخلِصة ، نظرته الحانية ، انها ليست نظرة عادية كما ينظر الناس ، بل كما هو مكتوب (الانسان ينظر الى العينين ، اما الرب فينظر الى القلب) ، ونظرة الرب تحتوى على كل مشاعر الابوة نحونا .. تلك النظرة التى جعلته يتحنن على التى أُمسِكت فى ذات الفعل ، والتى

جعلته يتحنن على زكا ، تلك النظرة التى تطلعت الى بطرس الرسول بعد ان انكر.

ترى أية نظرة هذه التى يوجهها الرب نحو هذا المريض الملقى على الفراش لمدة ٣٨ سنة ، وقد اوضح الرب بعد ذلك ان الخطية هى السبب الرئيسى لهذا المرض المضنى (لا تعود تخطئ). ومن المؤكد ان الرب نظر اليه نظرة السامرى الصالح ، وهى نفس النظرة التى نظرها يسوع لارملة نايين.

ان منظرنا ونحن منطرحين على فراش المرض وشلل الاعضاء عن العمل الروحى وعدم القدرة على السير فى طريق الفضيلة ، او تحريك اليدين للصلاة ، او الرجلين للسجود ، او العينين فى النظر الى فوق ، وفقد كل مقدرة على الحركة نحو الله ، هنا الشلل الروحى يثير شفقة الرب نحونا جداً ، فيوجه الينا نظرة وحنان مملوءة شفاء ويقترب منا ليقول (أتريد ان تبرأ).

فالسيد لا يسألنا عن حالنا فى الخطية ، ولا يثير أسئلة كثيرة عن المرض ، لكنه يتكلم مباشرة عن الشفاء وعن ادوية الخلاص.. انها قضية خلاصنا وارادتنا ، هو جاء ليخلصنا ولكن ليس لنا ان نتمتع بشىء من كل هذا إلا بإرادتنا الخاصة وقبولنا واستجابتنا وجهادنا ، فإرادة الانسان هى المسئول الاول.. فالمسيح لا يغصب احد ولا يضغط على احد ، واقف يقرع على الباب ، بل بالعكس قد جاء خصيصاً ليمنحنا حرية ارادتنا التى استعبدها الشيطان.. فالانسان له ارادة الشفاء ، والشفاء الحقيقى هو ان تقبل ارادتنا عمل نعمة المسيح الفادى وقوة خلاصه المحيى ، حينئذٍ تصبح ارادتنا مقدسة وقوية بالمسيح قادرة على هدم حصون الشرير والخطية ، وتصبح مشيئة الله فينا هى مسرتنا وارادتنا لانه هو العامل فينا ان نريد وان نفعل ، وهذا التوافق فى ان تصبح مشيئة المسيح وارادته هى ما نريده نحن ، هو تمتعنا بالشفاء والخلاص والسلام ، لذلك نصلى (لتكن مشيئتك) ..

وفي هذه المعجزة (معجزة شفاء مفلوج بركة بيت حسدا) صورة حية لعمل

. السيد المسيح داخل الكنيسة ، انه الطبيب الحقيقي الذى لانفسنا واجسادنا وهو مدبر كل ذى جسد وهو الذى يتعهدنا بخلاصه ، إذ يغفر الخطايا واهباً النفس الشفاء متمتعة بالبنوة لله وبابوة الله لها ، وفى هذا نجد مثالاً لانفسنا الراقدة المريضة وقد خارت قواها ، وها هى تتقدم فى الاحد الخامس من الصوم الى الطبيب الكامل ليهبها الشفاء ، بعد استعدادها وطلبها الملكوت وبعد غلبتها ورفضها المشورة الشريرة ، وبعد توبتها ورجوعها الى بيت الآب ، متمتعة بالماء الحى الذى من يشربه لا يعطش ابداً .

لقد شفى الرب اولاً جسد مفلوج بيت حسدا (يو ٥) ، ثم طالبه ألا يخطئ بعد ، انه محب البشر الذى يقدم لكل ابن ما هو لبنيانه ، يتعامل مع كل مريض حسب ما يتناسب معه ، وهذا المفلوج الذى له ٣٨ عاماً فى المرض ليس له من يسنده ولا من يعينه ، تحطمت نفسه ، فهو محتاج الى مجئ السيد اليه ، وشفاء جسده وحياتهالداخلية.

وهوذا مريض بيت حسدا يصرخ اليوم يشكو من انانية الانسان (ليس لى انسان) ، ولكن فى الوقت الذى يتخلى فيه الجميع ، نجد الرب واقفاً يحمل امراضنا ويتحمل اوجاعها... هو اقرب من الصديق ، قريب للذين يدعونه ، ينصف مختاريه الصارخين اليه ، يأتينا فى الهزيع الرابع وبعد ٣٨ سنة لانه رجاء من ليس له رجاء ومعين من ليس له معين ، يسعى وراء الرافضين (السامرية) ، يذهب الى المقيدين (المفلوج) ، ويعلن ذاته حتى لغير المؤمنين (المولود اعمى) انه الخادم الحقيقى.

فلا يأس ولا فشل بعد ، لقد قام المخلع وحمل سريره بعد ٣٨ سنة مرضاً ، بعد ٣٨ سنة شللاً وخطية ، ولنحسب انفسنا مع اصحاب الساعة الحادية عشر ، لانه ليس فى المسيحية شيخوخة ولا يأس ، بل امل متجدد ، انها لا تعرف التوقف ابداً انها جديدة فى كل صباح وهى من دور الى دور.

ولنردد قائلين

طبيب الارواح ساكن فينا
بعالجه الشافى يداوينا
فلنسأل منه ان يعطينا
مرهما يشفى الجراحات
غلك يا نفسى عند فاديك
فهو من الاسقام يداويك
كمريض بيت حسدا يشفيك
من آلام الخطايا والمعصيات

•• الأحد السادس للصوم الكبير (أحد المولود اعمى) { يو ٩ }

• أحد التناصير

لقد كان الغرض الرئيسى من الصوم الاربعينى الكبير فى عصور كنيستنا الاولى هو تعليم الموعوظين أى المؤمنين الجدد بالمسيح ، وتهيئتهم لنوال نعمة المعمودية ، وحينما إختفى نظام الموعوظين ، بقى المعنى الاساسى للصوم الكبير كما هو ، فرغم اننا معمدون إلا اننا فى اغلب الاحوال نفقد قوة الحياة الجديدة التى سبق فنلناها فى جرن المعمودية ، ولذلك فإن المنهج الكنسى الليتورجى والفكر التعبدى للكنيسة جعل من فترة الصوم الاربعينى المقدس فرصة رجوع من جديد الى هذه الحياة الالهية التى وهبها لنا المسيح ونلناها منه فى المعمودية لاننا نسينا قوتها وفاعليتها وقيمتها وسط اهتمامتنا وانشغالنا وسط مشاغل هذا العالم.

وانجيل قداس الاحد السادس (احد التناصير) هو انجيل النور انجيل المولود اعمى الذى خلق له المسيح البصر من جديد ونجد ان الكنيسة الواعية الملهمة بالروح تضع انجيل (احد التناصير) (احد المولود اعمى) ضمن قراءات الصوم الكبير إذ معروف فى طقس الكنيسة انها فى العصور الاولى ربطت بين انجيل المولود اعمى وبين طقس المعمودية ربطاً شديداً ، ويوجد فى سراديب روما التى من القرن الثانى نقوش بالفريسكو لانجيل المولود اعمى تحت عنوان المعمودية

كشرح لعملها السرى ، كذلك يربط الآباء جميعاً بين انجيل المولود اعمى وطقس المعمودية فى عظاتهم مثل القديس امبروسيوس فى المقالة (٣) على الاسرار.

ورؤية الله هى هدف رحلة الصوم ، والكنيسة تطالبنا بالرؤيا الروحية من خلال انجيل المولود لان بنقاوة القلب نعاين الله وهذه هى ثمار الصوم المقدس.

• كنت أعمى و الآن أبصر

أن تبدأ عيون قلوبنا الروحية ترى الله ترى إرادته ، ترى أحكامه وأعماله ، عندئذ نثبت نظرنا فى المسيح ونسجد له كما فعل المولود اعمى.

وهكذا يقودنا الفكر الليتورچى الكنسى خلال فترة الصوم الى الاستعداد + التواضع والمحبة وصلاة المخدع.

قبول التجربة لان السيد المسيح انتصر لحسابى + المياه الحية التى تشبع النفس التى كل من يشرب منها لا يعطش + حتى نصل الى رؤية الله بقلب مفتوح ومعاينة المسيح وتجديد البصيرة الروحية ونوال بركات مفاعيل المعمودية وخيراتها ثم مشاركة المسيح فى آلامه فى اسبوع البصخة.

ويمر امامنا فى هذا الإنجيل ، المسيح رب المجد نحن الذين فقدنا البصر الروحى لكى يخلق لنا قلباً جديداً وعيوناً جديدة وبصيرة مستنيرة لنرى بها ملكوت الله ، ونحن لا يمكننا ان نبصر المسيح ونعرفه حقاً ان لم نذهب ونغتسل فيه هو الذى يهب الحياة ، لانه غير ممكن ان نغتسل مرة أخرى عن طريق المعمودية – لاننا سبق ان اعتمدنا باسمه – فاغتسالنا الآن فى المسيح انما هو تطهير التوبة والانسحاق كما نردد فى ليتورچيات الكنيسة فى الصوم (أخطأت أخطأت يا ربى يسوع المسيح اغفر لى لانه ليس عبد بلا خطية ولا سيد بلا غفران).

فالتوبة معمودية ثانية نستعيد بها هبة الحياة الجديدة التى سبق ان اعطاها لنا

السيد المسيح فى معموديتنا ، فنؤهل بالتوبة خلال فترة الصوم لنتذوق فرح قيامته.

ويتضح من عظات القديس كيرلس الأورشليمى للموعوظين وايضاً القديس جيروم ان الصوم الاربعينى كان يخصص ليشرح قانون الايمان بنوع خاص حتى يُقبل بعدها الموعوظين الذين هم "جنود الرب الجدد" بحسب تعبير العلامة ترتليان الى دخول شركة الكنيسة بالمعمودية فيكونوا من المستنيرين ، لذلك خلال الصوم الكبير كان الموعوظ يذهب الى الكنيسة ليتلقى التعليم استعداداً للمعمودية ولطقس جحد الشياطين والكنيسة كلها تشترك فى الصوم مع الموعوظين الذين يتلقون التعليم لاعدادهم لنوال نعمة المعمودية وهذا ما يؤكده كلاً من الشهيد يوستينوس والعلامة ترتليان وايضاً القديس كيرلس الاورشليمى والقديس اغريغريوس النيزنيزى.

من اجل هذا كان الفكر الليتورچى والمنهج الكنسى التعبدى وقراءات الكنيسة يعطى اهتماماً كبيراً فى الصوم الكبير لموضوع تجديد النفس ودعوة الانسان الى الله وهو الهدف الذى تبرزه روحانية كنيستنا الأرثوذكسية الشرقية اثناء الصوم الاربعينى.

وكما كان الصوم الاربعينى فى القديم يعد الموعوظين لنوال نعمة المعمودية هكذا كنيستنا خلال فترة الصوم تُرجع كل نفس وتأتى بها عند المعمودية لتدرك النعمة الالهية.

واليوم فى انجيل الاحد السادس من الصوم الكبير (انجيل المولود اعمى) فى احد التناصير تبرز لنا الكنيسة ان عطية المعمودية هى عمل الهى هى ولادة ثانية ، هى مسحة داخلية من الروح القدس هى استنارة وخلاص وختم وختان للعهد الجديد وهذه كلها اسماء لاهوتية اطلقها آباء الكنيسة على المعمودية فعكست هذه الاسماء قوتها وفاعليتها.

ونجد ايضاً ان القديس كيرلس السكندرى قام بتفسير معجزة المولود اعمى

طقسياً وليتورجياً.

● **وفيما هو مجتاز رأى انساناً أعمى منذ ولادته**

لان ربنا يسوع المسيح مملوء بالحب للانسان ومهتم بخلاص النفس ، كان يجول يصنع خيراً ولم يتأخر عن أى عمل من اعمال الرحمة ، فصنع آية غير عادية حتى ان المولود اعمى شهد وقال بعد ان ابصر : (منذ الدهر لم نسمع ان احداً فتح عيني مولود اعمى).

لقد ابصر السيد المسيح الأعمى فذهب اليه ليخلصه من العمى ، انه يبحث عن الخروف الضال ويفتش عن الدرهم المفقود وينتظر رجوع الابن الشارد ، ويسعى وراء السامرية ، ويشفى المخلع ، واليوم يخلق البصر من جديد للمولود اعمى (المسيح الخادم).

– وهكذا رتبت امنا البيعة الارثوذكسية فى الاحد السادس من الصوم الكبير (احد المولود اعمى) لكى تنبه اذهاننا بان المخلص قام بالمعجزة دون ان يطلب منه احد ، او حتى دون ان يترجاه احد لقد قرر ان يشفى المولود اعمى ، وهذه المعجزة ترينا جموع الامم التى لم تترجى الله رغم انهم كانوا خطاة ولكن الله بالطبيعة صالح ، بارادته وحده جاد واظهر رحمته ناحيتهم ، لقد اظلمت عقولهم بظلمة كثيفة جعلتهم غير قادرين على رؤية النور الحقيقى.

وهذا ما نراه بوضوح لان الرجل الذى شفى كان مولوداً اعمى فهو لا يعرف ولا يقدر على رؤيته ولكنه بعمل محب البشر حصل على رجاء عظيم ، وهذا ما حدث للامم بالمسيح يسوع.

لقد حدثت هذه المعجزة فى يوم السبت آخر ايام الاسبوع لان الابن الوحيد ربنا يسوع سكن بيننا واعلن ذاته للكل فى نهاية ازمن وآخر الدهور ، ما أعظم أعمالك يارب كلها بحكمة صنعتها.

انه محب البشر الصالح الذى لا يشاء موت الخاطئ مثل ما يرجع ويحيا الذى يريد ان الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون ، وهكذا تجذب الكنيسة انظار المؤمنين فى الصوم إلى المسيح الذى صام ليقدس صومى ويكمله (صام عنا) الذى انتصر على جبل التجربة لحسابى ومن أجلى ، الذى يتعطف على الخطاة ويقبل الراجعين مع الابن الضال إلى الاحضان الأبوية ، تشد الحاظ المؤمنين إلى المسيح الذى تعب ومشى وسعى وراء السامرية ليخلصها ويحولها الى مبشرة وكارزة بعد ان كانت كارثة .

و اليوم تشد الحاظ المؤمنين الي المسيح الخالق المحب الذى خلق أعين للمولود أعمى وأعطاه البصيرة الروحية وما صام المسيح رب المسيح رب المجد إلا عنى ليكمل ضعف صومى (صام عنا) وما الخروف الضال الا انا و ماالدرهم المفقود إلا انا وما الابن الضال الا انا وما السامرية إلا انا وما هذا الاعمى إلا انا ، يالها من كنيسة عظيمة تلك التى رتبت لنا هذه المائدة الدسمة المشبعة الغنية بالقراءات والالحان والعبادات لتسد جوع الجسد بشبع الروح .

● **رؤيه المسيح**

الانسان بعد ان خلقه الله ليحيا في النور ويرى النور سقط بالعصيان وصار في الظلمة أى فقد الامكانية الداخلية لرؤية نور المسيح نفسه ، لذلك يقول المسيح عن نفسه انه النور الحقيقي الاتي الى العالم وهذا الانجيل (المولود اعمى) هو إنجيل نور العالم وإنجيل أبناء النور.

أن عيوننا الروحية قد أصيبت بالعمى فلم تعد ترى الله أو تحس به من أجل هذا تجسد المسيح ليشفى عيون البشر الداخلية من العمي (نورا تجلى للامم) وفى إنجيل المولود اعمى (يو ٩) يقدم لنا السيد صورة محسوسة لشفاء عينى الانسان عموماً من العمى ، لقد تفل السيد المسيح فى التراب كالفخارى العظيم الذى يعيد تشكيلنا من جديد بواسطة يده الالهية البارعة . لقد خلق السيد المسيح اعين جديدة فنقل المولود أعمى من ظلمة العمى إلى نور النظر إشارة وتاكيداً للوضع

الروحى (النور ضاء فى الظلمة) وهو جعل الذى كان بلا عين أصلاً منذ ولادته الأولى يبصر.

وهنا يظهر المسيح القادر أن يعطى حواساً جديدة للإنسان ، حواساً جديدة على المستوى الجسدى وعلى المستوى الروحى ايضاً ، ينقلنا من الضعف الى القوة ومن النقص الى الكمال ومن الظلمة الى النور ، ومن الضلالة والعبودية الى حرية مجد اولاد الله .

● لكى تظهر اعمال الله فيه

لقد اعاد الرب للمولود اعمى بصيرته... مظهراً عمله لتظهر اعمال الله فيه) ان الرب الهنا هو الطبيب الذى يشفى طبيعتنا ويصحح حياتنا لكى يُظهر قوته الالهية ومن الذى يقدر ان يخلق اعين للمولود اعمى الا الله الكلمة ، لقد قال الرب عن نفسه (لتظهر اعمال الله فيه) وهنا نرى ان المسيح رب المجد يتكلم عن نفسه ، وعن اعماله .

لانهم سمعوا ان الله حينما خلق الانسان اخذ تراباً من الارض لذلك ايضاً صنع المسيح طيناً وبالرغم من انه لم يكن محتاجاً للمادة عند خلق العينين ولكنه فعل ليعرفنا بذاته انه هو الخالق منذ البدء لانه خلق اعين من جديد وكأنه يقول : انا هو الذى اخذت التراب من الارض وصنعت الانسان ، فلو كان قد قال ذلك لظهر كلامه صعباً على السامعين ان يصدقوه لذلك اراد ان يريهم ذلك بالعمل ، فاخذ التراب وخلطه بالتفل فاظهر بذلك مجده المخفى واظهر ألوهيته.

فلم يكن هيناً ان يعتبروه خالقاً ولكنه بخلقته للعينين اثبت انه خالق الكل ، خلق العينين بذات الطريقة الاولى التى خلق بها الانسان.

ولما كانت العين سراج الجسد من اجل هذا نحن نطلب من الرب يسوع خالق الكل ان يهبنا الاعين الروحية المستنيرة والبصيرة الحية كما صنع مع المولود اعمى فى هذا اليوم لانه قادر ان يتمجد فى الضعف ، لذلك كل الامور التى حولنا

مهما كانت صعبة تجارب ، احزان ، بلايا ، امراض ، فشل ، مضايقات ، اضطهادات ، لنثق انها ستؤول لمجد الله..

لقد قال السيد (يجب ان اعمل مادام نهاراً)

إن عمل المسيح ان يتمم مشيئة الآب السماوى الذى ارسله ، لذلك فهو يعمل فى النهار حيث النور والايمان والاجتهاد والتوبة.

ان الله يعمل فى ابناء النور وفى ابناء النهار ، ابناء المعمودية الذين يقبلون الكلمة ، فلنقبل الكلمة الموضوعة على المذبح الجسد والدم ، ولنقبل كلمة الله التى نسمعها من المنجلية لنسلك فى النهار وفى النور لان الهنا لا يسكن إلا فى النور ، لانه هو النور الحقيقى الآتى الى العالم ، كل من يعيش بعيداً عنه ينطرح فى الظلمة الخارجية .

إن الشعب الجالس فى الظلمة ابصر نوراً ، لنبصر النور ، ولنعاين النور ، ولنعمل اعمال النهار ، ولنسير فى النور ، نور الحياة الجديدة نور الوصية ولا نسلك فى ظلمة الخطية القاتلة للنفس ، ولا فى ليل العدو الشرير .

ولنخبر بفضل الذى دعانا من الظلمة الى نوره العجيب فنكون كمصباح منير فى موضع مظلم الى ان ينفجر نور النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبنا.

فها هو المولود اعمى ، ونحن جميعاً معه نولد عميان ليس لنا مقدرة على رؤية الله بسبب الفساد الذى دخل طبيعتنا منذ سقوط ابينا آدم ولكن لصلاح الله ومحبته ، يتقدم المسيح من نفسه دون ان يطلب منه احد ، ليخلق البصر للمولود اعمى ، بل ويعلن انه ينبغى ان يعمل اعمال الرب لكى تظهر فى هذا الرجل قائلاً (مادمت فى العالم فانا نور العالم) والطريقة التى شفى بها المسيح رب المجد المولود اعمى تشير الى طريقة إعطائنا البصر الروحى الذى به نستطيع ان نراه (بنورك يارب نعاين النور) وهنا المسيح يعلن لنا عن ذاته ويصالحنا مع الله ، وفى هذه المعجزة يقدم لنا نفسه شافياً لعين الجسد التى لانسان مولود اعمى لكنه فى

ذات الوقت يقدم نفسه للعالم والعميان بحسب الروح وللجالسين فى الظلمة وظلال الموت لان معرفة المسيح هى معرفة النور وكل من يتبعه لا يمشى فى الظلمة وتلك هى بركات المعمودية وخيراتها فى حياتنا لذلك من تدابير كنيستنا المقدسة ان يُقرأ هذا الفصل من انجيل المولود اعمى فى يوم اقتبال نفوس كثيرة لنعمة العماد لكى ندرك اسرار ملكوت الله.

والنور فى اللاهوت الارثوذكسى مرتبط صميماً بالحب والحق والفرح والحياة والنهار والسلوك بلا ميل ولا عثرة ، اننا ابناء نور وابناء نهار وابناء قيامة .

● بركة سلوام

ان الاغتسال من بركة سلوام اشارة الى المعمودية باسم المسيح وقد ذكر الإنجيل ان سلوام تفسيرها أى معناها "مُرسل" أى ان الاغتسال من المعمودية هو اغتسال فى المسيح ابن الله المرسل من الآب لخلاصنا .

وبدون المعمودية لن تكون لنا الاعين الروحية لكى نرى نور الله، وهذا الانجيل الذى تقرأه الكنيسة يوم احد التناصير يوم تعميد الداخلين الجدد فى الايمان يجعل تفتيح عينى المولود اعمى مُذكِراً لكل مسيحى معمد بالنور الذى اعطاه لنا المسيح بتجسده ومجيئه وصليبه وقيامته ، وان الكنيسة تذكرنا فى الاحد السادس من الصوم اننا نلنا نور البصر الروحى فى المعمودية .

ومجرد الاغتسال من بركة سلوام الذى تفسيره مُرسل اشارة تتجه نحو المسيح نفسه مباشرة ، أى ان الاغتسال فى بركة سلوام سر فاعليته من صميم رسالة المسيح.

وكذلك معروف انه فى عيد المظال هذا الذى صنع فيه المسيح

معجزة المولود اعمى كان يُعمل فيه طقس تذكار الصخرة (الصخرة كانت المسيح) (١ كو ١٠ : ٤) حيث كان رئيس الكهنة يملئ بنفسه جرة فضية – عوض الصخرة فى برية سيناء – من ماء سلوام ويصبها على المذبح ، فماء سلوام هو المسيح نفسه الذى يقدس ماء المعمودية لكى يعطينا الحياة والاستنارة والحواس الجديدة التى من فوق فنؤهل لرؤية الملكوت وقبول الابدية.

وانجيل قداس المولود اعمى يشرح لنا عمل المسيح فى المعمودية بصفته النور والحياة فى ماء سلوام ، وماء المعمودية هو لنا جميعاً ماء سلوام الروحية ، ماء المُرسل ماء المسيح الماء الحقيقى الحى ، الذى يعطى الحياة الجديدة والبصيرة السمائية وموهبة الحياة الجديدة والاستنارة لانه هو مصدر الحياة ومصدر النور.

فتأخذنا الكنيسة الى عمق الفكر الليتورچى لكى نراجع حياتنا وقلوبنا من جديد وننظر الى هدف حياتنا ببصيرة روحية واعية مستنيرة خلال ربيع السنة الروحية فى الصوم الكبير.

● لنسأل انفسنا :

هل نحن نتمتع باشراقة نور المسيح ؟
هل نحن نعيش بركات المعمودية ؟

لقد اعطانا المسيح ان ننال معرفة الثالوث القدوس الواحد فى الجوهر ، واعطانا ان نكون شركاء جسده وان نجحد الشيطان ومملكته فى المعمودية المقدسة.

سلوام صورة المعمودية المقدسة التى بها نصير بنين مُخلّصين ووارثين ومجددين ولابسين ثياب البر ، نتعرف على شخص المسيح الذى يهبنا الولادة الجديدة بالمعمودية لانه هو المُرسل ، ولانه هو الذى

يقدس الاسرار ، نتعرف عليه فى سلوام (جرن المعمودية) سابحاً بطريقة غير منظورة فوق سطح مياه المعمودية المقدسة لنغسل التلوث والنجاسة التى فى عيون الذهن ، وننظر الجمال الالهى بنقاوة ومحبة الصلاح.

لقد اسرع الرجل الاعمى ليغتسل من بركة سلوام الروحية التى نتقابل معها فى جرن المعمودية ، لقد خلق السيد المسيح اعين للمولود اعمى دون ان يطلب ، ياللعجب ان مسرة قلبه ان نعيش فيه ونرى النور ، لقد جاء من اجل الجميع من اجل الضالين والخطاة والمشتتين والعمى ومن اجل الشحاذين والعميان.

ان الكنيسة تأخذنا اليوم فى الاسبوع السادس من الصوم الكبير احد التناصير (المولود اعمى) الى رؤية المسيح ومعاينة النور الالهى فى داخلنا.

*المعمودية هى النور والبصيرة

البصيرة الجديدة التى وهبها لنا الله فى مياه المعمودية ، البصيرة الروحية التى تقبل اعمال الله فى الاسرار بلا مجادلة ولا شوشرة ، البصيرة الروحية التى بها نستطيع ان نرى جيش الملائكة النورانية ، ونعيش فى شركة الثالوث القدوس وفى شركة السمائيين ، فنتاكد ان الذين معنا اكثر من الذين علينا .

تلك البصيرة الروحية التى اخذناها فى المعمودية لنستطيع بها ان نقول اننا ناظرين الى الرب بوجه مكشوف ، تلك المعمودية التى اهملناها وحولنا انظارنا الى العالم والمشتهيات والاباطيل ، ولا نعود نعرف حقيقة ضعفنا .

ان توبتنا هى معموديتنا المتكررة التى نسترد بها بصيرتنا

واستنارتنا لنعرف الطريق التى نسلك فيها .

وكما ان الذين يتعمدون يعانون من الضيق والاضطهاد والآلام ، كذلك كل الذين يدعى عليهم اسم ربنا يسوع المسيح ابناء المعمودية) يتضايقون ويتعيرون ، وهكذا نرى فى قصة المولود اعمى انه بعد ان فتح الرب عينيه اصطدم بمقاومات ومحاكمات من الفريسيين ومن رؤساء الكهنة فالشيطان يرصد حركاتنا لانه عدو الخير وعدو اولاد الله فيهيج من حولنا ويثير الناس ونجد ان الفريسيين الذين شاهدوا المعجزة ، ادانوها واحتقروها لانهم كانوا عمياناً بسبب الحقد والكراهية ، اما المولود اعمى فقد كشف الرب بصيرته فشهد للحق ، ويكفى انه قال :

انا اعلم اننى كنت اعمى والان ابصر

لقد كان هذا الرجل مولود اعمى وابواه ايضاً ، والكلمة هذه تتكرر المرة تلو المرة فى القراءة الانجيلية فى (احد التناصير) لقد ابصر ، مستنيراً بعد ظلام وعتمة طويلة ، لكن اليهود اخرجوه خارجاً . فوجد المسيح ينظره خارجاً وكفاه.

وكل من استنار وابصر يسلك فى النور بروح القيامة متحدثاً عن فضائل ذلك الذى دعانا من الظلمة الي نوره العجيب ، وها قد تركنا كل شىء وتبعناك مع هذا المولود اعمى ، لنشهد بعمل الله ونخبر بكم صنعت بنا ورحمتنا ولسان حالنا اننا لا نعرف شيئاً إلا اننا كنا عميان والان نبصر.

●● الاحد السابع احد الشعانين

احد الشعانين هو احد الاعياد السيدية الكبرى السبعة (احد السعف) ، وتصلى الكنيسة باللحن الشعانينى ، ذلك اللحن والنغم والوزن الروحانى الخصب الذى يلهمنا ويقربنا من حدث دخول السيد المسيح ملكاً فى هذا اليوم ، وهذا اللحن والنغم الشعانينى الذى وضعه طقس الكنيسة الليتورجى لاحد الشعانين يجعلنا جسدا واحداً يتجاوب مع الحركة والانفعال الروحى ، ويعدنا ويفتح اذهاننا لقبول كلمة الوعظ والتعليم ، وعندئذ نحيا هذا الحدث الخلاصى سرائرياً ونشترك فعلياً فى حياة المسيح مخلصنا الذى علمنا طرق الخلاص ، فتصير حياة المسيح عريسنا السماوى لا مجرد تذكارات واحداث وقعت فى الماضى نجتمع لنتذكرها ونحتفل بها ، بل هى حياتنا وخلاصنا ورجاؤنا كلنا ، نعيشها ونتنوقها ونشعر بها ونتلامس معها ، وهنا تكمن حيوية كنيستنا وخبرتها الداخلية التى تجعلنا مسحيين ومسحاء نولد بالمعمودية وننمو بالاسرار ، ولما كانت الكنيسة هى امنا لذلك فهى تشير لنا دائماً إلى ابوة المسيح لنا ، وألحان الكنيسة العذبة التى ألفها الروح القدس بكل ابداع روحى وقدسى واثرى الكنيسة بها منذ اجيالها الاولى ، تجعلنا نعيش فى احد الشعانين ، دخول المسيح لا الى أورشليم ولكن الى قلوبنا وحياتنا . لا كملك عليها (أى اورشليم) بل ملك على قلوبنا وحياتنا .

فتنتعش حياتنا بالنعمة ومشاعر التوبة والتقديس ، وما هذه الالحان والتسابيح إلا دموع القديسين وشركة النساك وتسبيح المتوحدين التى ادخرتها لنا امنا البيعة الاورثوذكسية نحن الذين إنتهت الينا اواخر الدهور .

ونحن فى هذا اليوم نسير (الكنيسة كلها) فى موكب دخول المسيح لاورشليم نطوف بتهليل قلب مقدمين ذبيحة التسبيح ثمار شفاه معترفة باسمه ونعلن ملكوت المسيح ربنا ، فنبارك الرب ربنا وملكنا لانه ليس الاموات يسبحونك يارب ..

ولما كان هذا اليوم عيد سيدى كنسى ، جعلت له الكنيسة طقس خاص به ، نتقدم فيه الى المسيح (مسيح الكنيسة) مؤكدين بنوتنا له مبتهجين بأبوته ،

وبالوزن الشعانينى الذى يرتج به القلب مقدما كل مشاعره واحاسيسه وحبه للملك الجديد ، فنستعيد به وحده سلامنا وندخل الى المصالحة مع السماء بل نصير نحن سماء ، انها ترجمة تعبيرية لحالة التهليل والتسبيح التى تعبر عن حالة الكنيسة التى بدأت بالاستعداد فالتجربة فالابن الشاطر فالسامرية فالمخلع فالتناصير فالشعانين ، انها ايضاً التعبير عن مجيء المسيح وخلاص العالم ..

انها صرخة التلهف نحو الله والتمجيد للجلال والمجد الالهى ونحن حاملين فى أيدينا سعف النخل والورود والايقونات اثناء زفة ايقونة دخول المسيح اورشليم ، وبالها من دورة توصل وتؤصل الحدث فى قلوبنا نحن المؤمنين فى كل كورة مصر ، وتأتى الصلوات والقراءات والالحان والقطع والمدائح كتعبير عن الفرح الروحانى الذى ليس من هذا العالم والذى يجعلنا ننفتح على اشعة شمس البر المشرقة ، نحو عريسنا الالهى الذى نقدم له ذاتنا بالكلية ، ونصحبه على مدى سنى حياته الارضية بلوغاً الى المجد السماوى ، نتقدم للشمس التى لا مغيب لها شمس بهجتنا واستقرارنا وطوباويتنا نعبده ونسبحه كما بصوت صادر من الظلمة الى النور ومن المريض الى الطبيب الشافى يسوع الملك الذى دخل اليوم ملكا الى اورشليم وهو سيد الحياه وواهبها ، صلاة من الفقر والعوز الي ذاك الذ ى يملاء الكل ، انها تسابيح الفرح والرغبة الملحة فى التحرر من قيود الزمان والمكان تطلعاً الى المجال الالهى والحياه النورانية حينئذ نرى جلال الموكب الالهى ويسوع داخل اورشليم ملكاً ، ملكاً على سلوكنا فنفعل ما يرضيه امامه ، ملكا على قلوبنا فلا نعرف اخر سواه ، ملكا على حواسنا فلا نحب العالم ولاشهوات العالم ، ملكا على حياتنا فلا نحيا بآخر سواه ، به نحيا ونوجد ونتحرك ، مستأثرين كل فكر لطاعة المسيح يسوع .

اليوم الجالس على الشاروبيم ركب على جحش ووصل الى اورشليم – من افواه الاطفال والصغار الرضعان اعددت سبحاً بارادتك يا رب – لا تخافى يا ابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك راكباً على جحش – اليوم كملت النبوات قومةً اخذوا سعف النخيل واغصان الزيتون واخرون فرشوا ثيابهم فى الطريق امامه قائلين [اوصانا يا ابن داود مبارك الاتى باسم الرب ، هوشعنا لابن داود فى الاعالى لملك

اسرائيل] وكلها قطع وذكصولوجيات وضعتها الكنيسة تأخذنا فى رحلة اورشليم وتشركنا فى موكب المسيح فعلياً وحياتياً واختبارياً ومن ثم نفرح ونشبع بالتذكار الليتورجى على المستوى الباطنى.

ويقول القديس يعقوب السروجى :

"حبك انزلك من المركبة الى الجحش . عوض جنود الكاروبيم غير المفحوصين ، يبجلك جحش .

انزلتك المراحم من بين العجل والوجوه واجنحة اللهب لكى تجلس على ابن الاتان ، انت الذى يجاهر السمائيون ببهائك ، وهنا الجحش الحقير المزدرى به يحملك بين السمائين .

كاروبيم النار يباركونك طائرين ، وهنا الاطفال يمجدونك بتسابيحهم .

ملائكة النور بريش النور يهيئون طريقه ، والتلاميذ هنا يلقون قدامه ثيابهم .

نزل الجبار من عند ابيه ليفتقد مكاننا ، وبإرادته بلغ الى منتهى الاتضاع ، ركب الجحش ليفتقد بالاتضاع شعبه .

زكريا النبى حمل قيثارة الروح ، واسرع قدامه بترتيل نبويه بابتهاج ، شد اوتاره وحرك صوته وقال : افرحى ياابنه صهيون واهتفى واصرخى ، لان ملكك يأتى راكباً جحشاً ابن اتان [زك ٩:٩]" .

ويا لعظمة هذا اليوم الذى ارسل فيه الرب التلميذين بسلطان الهى ليحلا الاتان والجحش ، وهكذا يرسلهما الينا ليحلونا من اهتمامات العالم ، لان الرب يتطلع للنفس لا كمن يتعالى عليها بل كمن هو يطلبها لتكون موضوع تعطفاته ومحبته يسكن فيها ، فتصير حياتنا مركبة سماوية تحمله ، كما يليق بنا ان نخضع له ونقدم له انفسنا ، بعد ان اعلن حبه لنا ، لا بمركبات وخيل ورجال ولا بعجلات وفرسان ولا بالابواق والناى ولا بمركبة نارية ، بل بحب واتضاع عجيبين ..

وكل من يلقى ثيابه القديمة يتمتع بالسيد المسيح نفسه كثوب البر الذى يلتحف به ، وكل من يتقدم ويتبع المسيح الملك يتمتع بالغلبة والنصرة على الموت والخطية وهزيمة رئيس هذا العالم ، وهكذا يدخل ربنا يسوع الى اورشليمنا الداخلية ليقيم ملكوته فينا ، انه يوم الانتصار ، يدخل فيه المسيح ملكاً الى اورشليم ، وهو آت ليكمل الخلاص الذى من أجله جاء إلى العالم ، الراعى والفادى والمخلص جاء ليقدم نفسه ذبيحة عن الشعب فى مدينة اورشليم التى هى كنيسته فيصنع خلاصاً وفداء لشعبه .

مبارك الآتى بإسم الرب ، الرب الذى يرحم صنعة يديه ، الرب المتحنن الكثير الرحمة الجزيل التحنن الذى يخلص جميع البشر ، يرفع عنهم آثامهم ويرسل النور لأولئك الذين ضلوا طريقهم فى الظلام ، فهو مبارك لأنه جعلنا نحن الجلوس فى الظلمة وظلال الموت نبصر نوره العجيب ، وهو ماتعبر عنه الكنيسة فى قسمة احد الشعانين :

[ايها الرب ربنا مثل عجب صار إسمك على الأرض كلها ، لان قد ارتفع عظيم بهائك فوق السموات ، من افواه الاطفال والرضع هيئات سبحاً .]

مبارك هو الذى أعطانا ذاته ليخلص شعبه الى التمام ، ينقذ الفقير من أيدى ظالميه، ويسكب خمراً وزيتاً على ذاك الذى وقع بين أيدى اللصوص ، هو مُسبح فى كل العالم ، لأنه الجالس بين تسبيحات إسرائيل ، جاء لكى يملك ملكاً عجيباً جداً قدم له المجوس ذهباً ولباناً ومراً ، ملك غريب وعجيب يملك لا بالسيوف والغزوات بل بالتواضع والمحبة ، ملك باك على خلاصنا يسعى لتكون حياتنا أفضل، ملك قوى إرتجت له المدينة ، ملك على الصليب [لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين يا عمانوئيل إلهنا وملكنا] .

• الصوم الكبير والإفخارستيا

تعد القداسات الإلهية اليومية فى ساعات متأخرة من أوقات النهار من أهم القواعد الطقسية التى تخص صومنا الكبير ، وتأتى أهميتها من كونها مفتاح فهم التقليد الطقسى الليتورجى بروحانيته الأرثوذكسية ، بعيداً عن خطر العقلانية الغربية .

وحرص الكنيسة على دوام يومية القداسات ينير لنا التقليد الليتورچى الأرثوذكسى القبطى بكامله ، ولكى نفهم هذا التدبير الكنسى لابد أن نشير إلى أن الإفخارستيا دائماً طابعها الفرح والتعييد ، إنها بالدرجة الأولى سر مجئ المسيح وحضوره ، سر القيامة وبرهانها، بر الإعلان {لو ٢٤ : ١٣} ، والتناول هو نبع المعرفة الكنسية الإختبارى والوجودى لقيامة ربنا يسوع المسيح ، والقداسات الإلهية اليومية تؤكد على فرحنا بجهاد الصوم .

الافخارستيا هى المجىء والحضور نفسهما ، والمعرفة الفائقة العقل والمطلقة فى كسر الخبز ، حيث ملكوت الله حاضر منذ الآن فى الافخارستيا بالمشاركة فى ملكوت الفرح والسلام والغلبة ملكوت الثالوث القدوس المبارك .

ففى الصوم بينما نحن نجوع للطعام الجسدى نأخذ طعام الابدية وبينما نحن نمتنع عن الخبز البائد نُطعم الخبز السماوى ، وبينما نحن نحرم انفسنا ان جاز ان نقول هذا ، فنحن نأخذ كل الغنى والشبع ، والتقديس ، نصوم لا عن اضطرار بل ببهجة قلب ، من اجل حضور المسيح وبشارة الفرح الابدى لملكوت الله ، تاركين الاهتمام الجسدانى متطلعين الى السماويات حيث وطننا الاصلى .

وبالتالى نصعد الى حيث صعد المسيح ربنا لنأكل لا خبز الارض الذى نصوم عنه بل لنأكل ونشرب على مائدة المسيح فى ملكوته الابدى ، ملكوت الفرح والنعيم والاشراق والمجد .

اننا بالتناول المتواتر اثناء رحلة الكنيسة فى الصوم الاربعينى ، نكتشف مجدداً ان حياتنا نستمدها لا من الخبز والاكل والشرب انما من الجسد والدم الذى كل من يأكله ويشربه يُعطى حياة ابدية ، فالافخارستيا فى مفهومنا الارثوذكسى هى غناء حياتنا الروحية كأناس روحيين نسلك بالروح ، وهى ايضاً بالضرورة بداية جهادنا الروحى ، والموهبة الالهية التى تؤهلنا ان نعرف ونشتاق ونتطلع لشركة اكمل فى النهار الذى لا يغرب للملكوت الابدى ، اننا نعرف هذا الملكوت الآتى ونشارك فيه الآن ، فصومنا عن الاطعمة يجعلنا نشتاق الى ما فوق زاهدين هذا العالم كغرباء ، وفى تقدمنا للذبيحة نرى ونذوق مسبقاً المجد الآتى ونحن ما زلنا على الارض ، وصومنا هذا انما تدريب نبدأه منذ الآن لرحلة طويلة نحو يوم الرب الاخير (الباروسيا) .

ونحن فى رحلة غربتنا نحتاج الى سند ومعونة الى زاد الطريق الى قوة وتعزية ، لاننا فى الحرب مع (رئيس هذا العالم) الذى لم يستسلم بعد ، الذى غلبه السيد المسيح على جبل التجربة . بصومه اربعين نهاراً واربعين ليلة ، ذلك الشيطان الذى هزمه المسيح على الصليب ظافراً به ، يخوض ضدنا حرباً شرسة ملتمساً من يبتلعه ، تلك المعركة العنيفة التى يحاول الشيطان ان ينتزع فيها قدر ما يستطيع من الناس ، المعركة صعبة لانها ليست مع دم ولحم ولكنها مع أجناد الشر مع ابواب الجحيم ، وما هذه الحرب إلا الباب الضيق الذى لابد ان نعيشه ونجتازه ، ولا عون لنا إلا بالجسد والدم ذلك الزاد السماوى مصل عدم الموت الواهب حياة لا كحياة اولئك الذين يحيون للعالم و لكن الذين يحيون للحياة الدائمة ، فملكوت الله ليس طعاماً او شراباً بل هو فرح وسلام بالروح القدس .

وجوعنا وعطشنا لا يسده طعام وشراب انما يسده ذلك الغذاء الجوهرى الذى يحفظ حياتنا الروحية ويقويها ، بالرغم من جميع الحروب والتجارب التى تجعلنا نكلل بعد جهاداً قانونياً .

ويعلمنا القديس ديديموس الضرير المبصر عن "أولئك الذين يرفضون تناول جسد الرب ودمه ، الذى هو خبز الحياة الحق النازل من السماء الذى يُعطى

كطعام للحياة ، يكون صوم هذا مدان وغير مقبول .

ان الرب يقول لأولئك الذين صاموا بطريقة ردية (ان صومكم فى الشهر الخامس والسابع طوال هذه السبعين سنة التى قضيتموها فى بابل لم يرضينى ، لقد اكلتم وشربتم ما يروق لكم دون ان تراعوا اقوال الانبياء السابقين) .

لذلك يلزم ان ينتهى الصوم الذى هو البذل الناقص بسبب الضعف والخطية ، بالتناول وبالشركة فى جسد الرب ودمه الاقدسين ليصير جهادنا بذلاً كاملاً ، لذلك نجد ان كل تناول من الجسد والدم يسبقه صوم ، وكل صوم يلزم ان ينتهى بالتناول ، إذ تكمل ذبيحتنا ويكمل بذلنا ويستر عرينا ويسند ضعفنا [صلوا من اجل التناول باستحقاق ، إطلبوا عنا وعن كل المسيحيين] .
(القداس الالهى) .

وفى الصوم الكبير لابد ان نكثف جهادنا ، لان الامر عائد الى اننا حسب الانجيل وجهاً لوجه امام عدو الفرح ، عدو كل خير الشيطان وكل قواته الشريرة ، ولذا نحن بحاجة خاصة الى هذه النار الالهية الى جسد الرب ودمه الاقدسين ، سلاحنا فى الجهاد ، وهى بالفعل المن السماوى الذى يحفظنا احياء فى رحلتنا فى صحراء جبل التجربة .

المراجع البحث

صوماً روحانياً

قداسة البابا شنودة الثالث

كتابات الأب الموقر

القمص تادرس يعقوب ملطى

كتاب الصوم الكبير

الكسندر شميمان

رحلة الصوم المقدس

المتنيح القمص بيشوى كامل